فَضيلَةٌ رائِعَةٌ في
مَجْموعَةٍ قَصَصِيَّةٍ لِلأَطْفالِ



الحُرِّيَّةُ

FREEDOM

ماري جوزيف

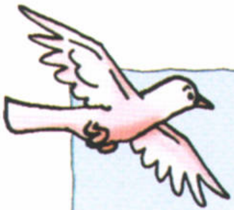




فَضِيْلَةٌ رَائِعَةٌ فِي

مَجْمُوْعَةٍ قَصَصِيَّةٍ لِلْأَطْفَالِ

الحُرِّيَّةُ



(أندروكليس) وَالأَسَدُ

تَتَحَدَّثُ هَذِهِ القِصَّةُ عَنِ العَبْدِ الَّذي هَرَبَ بَحْثاً عَنِ الحُرِّيَّةِ

حِكَايَةُ الشُّرْطِيِّ وَالدُّعَاءِ

تَتَحَدَّثُ هَذِهِ القِصَّةُ عَنِ الشَّرِيْدِ الَّذي كَانَ يَسْعَى جَاهِداً لِيَبْقَى فِي السِّجْنِ

الحُرِّيَّةُ لِلْأَطْفَالِ: هَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُوْنَ مُقَيَّدَةً أَوْ مُطْلَقَةً؟

وَهِيَ مَقَالَةٌ تَتَحَدَّثُ عَنْ ضَرُوْرَةِ تَقْيِيْدِ الحُرِّيَّةِ وَضَبْطِهَا بِشُرُوْطٍ مُعَيَّنَةٍ

مارتن لوثر كينغ

تَحْكِي هَذِهِ القِصَّةُ حِكَايَةَ (مارتن لوثر كينغ)، وَهُوَ قَسٌّ قَادَ حَرَكَةَ التَّحْرِيْرِ غَيْرَ العَنِيْفَةِ لِلْأَمْرِيْكِيِّيْنَ الأَفَارِقَةِ ضِدَّ المَظَالِمِ الَّتِي كَانَتْ تَقَعُ عَلَيْهِمْ، نَتِيْجَةً لِعَدَمِ مُسَاوَاتِهِمْ بِغَيْرِهِمْ مِنَ المُوَاطِنِيْنَ فِي الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ.

تِمْثَالُ الحُرِّيَّةِ

تَتَحَدَّثُ هَذِهِ المَقَالَةُ عَنِ التِّمْثَالِ الَّذي أَهْدَاهُ الشَّعْبُ الفَرَنْسِيُّ إِلَى حُكُوْمَةِ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ عُرْبُوْنَ صَدَاقَةٍ، وَلِلتَّعْبِيْرِ عَنْ مَدَى الإِيْمَانِ العَمِيْقِ لَدَى الشَّعْبِ الفَرَنْسِيِّ بِمَبْدَأِ الحُرِّيَّةِ.

قِصَّةُ الفَتَاةِ وَالفَارِسِ مَعَ الشَّلَّالِ

تَحْكِي هَذِهِ القِصَّةُ كَيْفَ تَمَكَّنَ فَارِسٌ مِقْدَامٌ مِنْ تَحْرِيْرِ بِلَادِهِ مِنَ الشُّرُوْرِ، وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ بِدَمَاثَتِهِ تَخْلِيْصَ أَحَدِ السَّحَرَةِ مِنْ طَبَائِعِهِ الشِّرِّيْرَةِ.

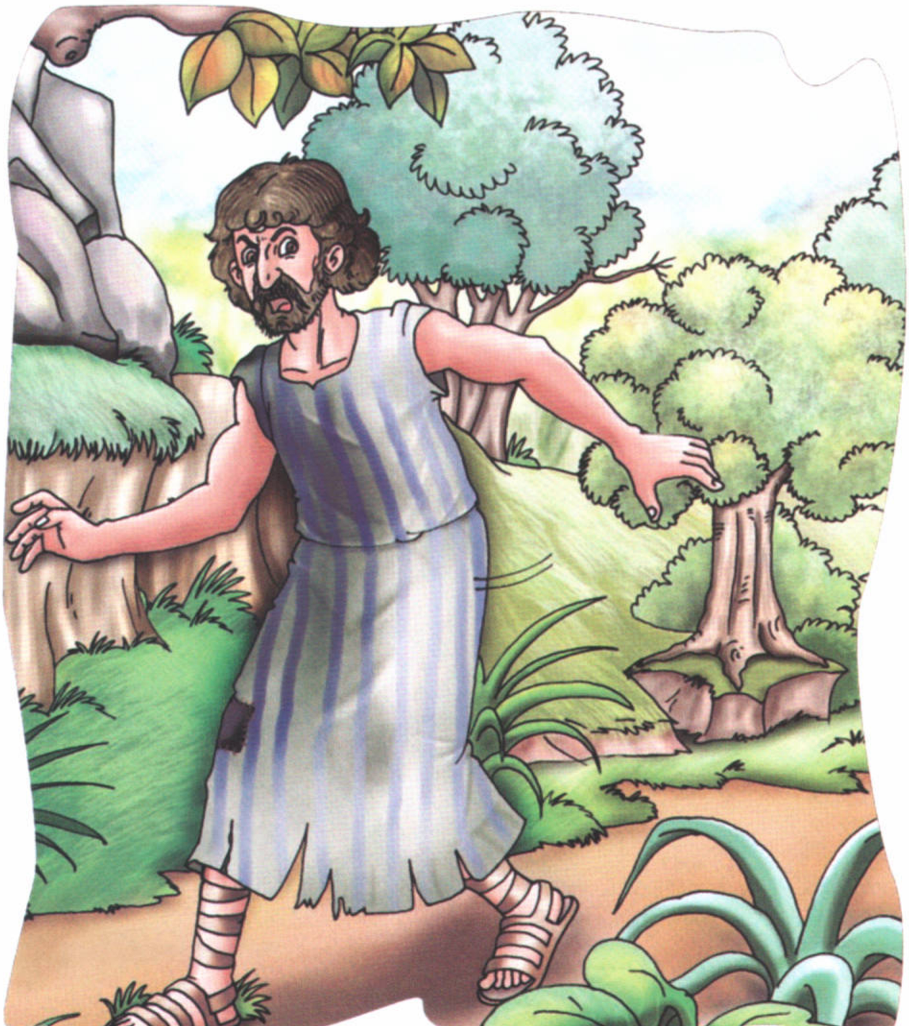
(أندروكليس) وَالأَسَدُ

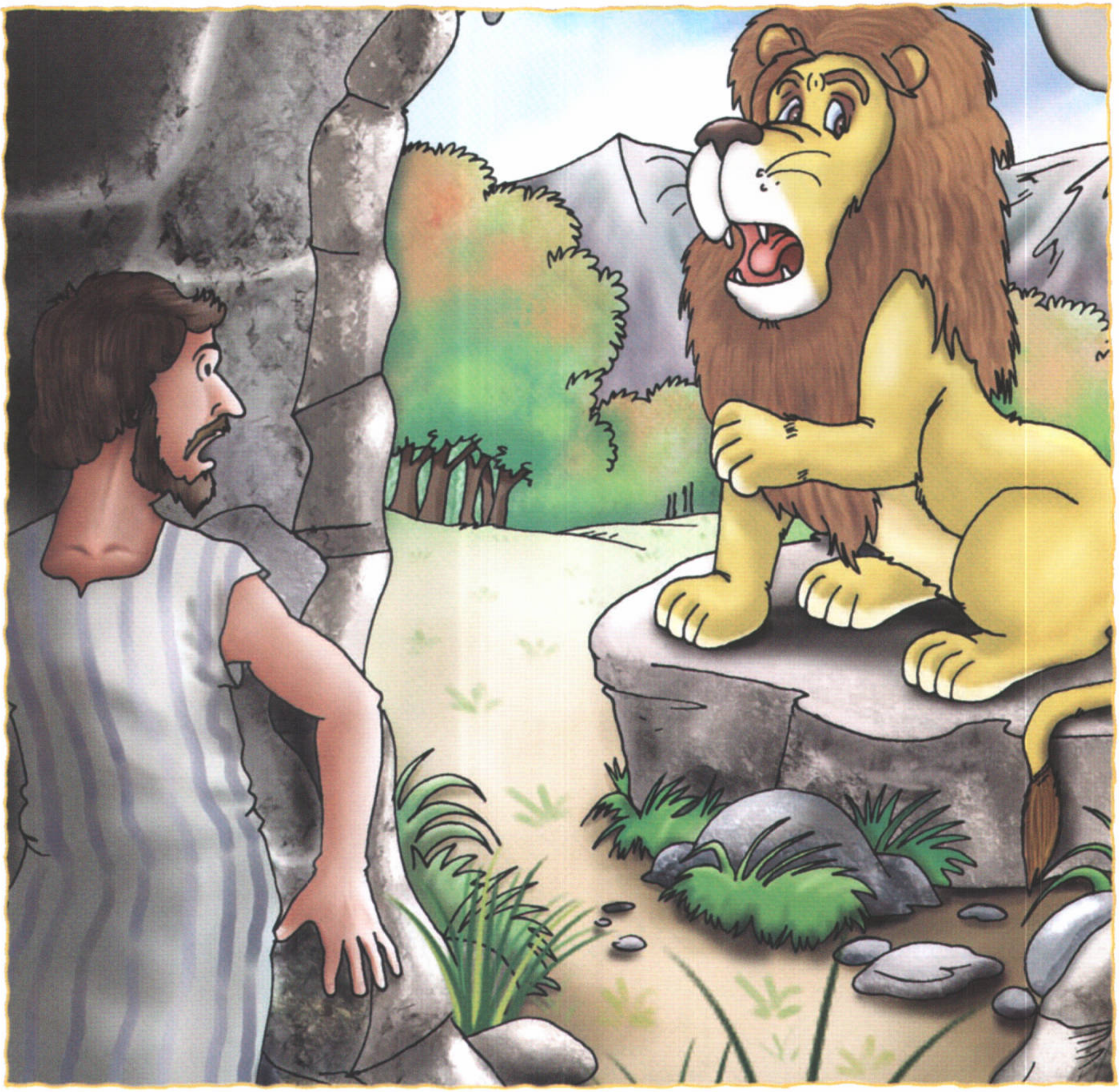
كَانَ (أندروكليس) عَبْداً رُوْمَانِيّاً ابْتَاعَهُ سَيِّدُهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى شَمَالِ أَفْرِيْقِيَا لِيَكْدَحَ هُنَاكَ وَيَعْمَلَ لَيْلَ نَهَارَ، وَالأَسْوَأُ أَنَّ سَيِّدَهُ كَانَ يُعَامِلُهُ بِمُنْتَهَى القَسْوَةِ وَالظُّلْمِ.

وَهَذَا مَا جَعَلَ (أندروكليس) يُفَكِّرُ بِالهُرُوْبِ مِنْ سَيِّدِهِ، فَخَطَّطَ لِذَلِكَ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الخُرُوْجِ مِنْ مَنْزِلِ سَيِّدِهِ فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءَ غَابَ عَنْهَا ضَوْءُ القَمَرِ، ثُمَّ غَادَرَ القَرْيَةَ، وَوَصَلَ إِلَى مِنْطَقَةٍ رِيْفِيَّةٍ حَاوَلَ فِيْهَا الوُصُوْلَ إِلَى السَّاحِلِ لِيُبْحِرَ فِي أَوَّلِ سَفِيْنَةٍ مُتَّجِهَةٍ إِلَى رُوْمَا.

وَأَثْنَاءَ تِلْكَ الرِّحْلَةِ المُضْنِيَةِ كَانَ قَلْبُ (أندروكليس) يَخْفُقُ بِشِدَّةٍ، إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ دَقَّاتِ قَلْبِهِ المُتَسَارِعَةَ، وَكَانَ يَشْعُرُ بِرُعْبٍ شَدِيْدٍ وَهُوَ يَرْكُضُ فِي البَرَارِي تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا قُبِضَ عَلَيْهِ فَلَابُدَّ أَنْ يَلْقَى عِقَاباً شَدِيْداً يَصِلُ إِلَى الحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْتِ الَّذِي يُعَدُّ الجَزَاءَ العَادِلَ لِكُلِّ عَبْدٍ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ الهَرَبَ مِنْ بَيْتِ سَيِّدِهِ.

مَكَانٍ مَهْجُوْرٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ سَلَكَ الوِجْهَةَ الخَاطِئَةَ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ، وَبِمَا أَنَّهُ كَانَ مُرْهَقاً وَجَائِعاً فَقَدْ





فَقَدَ أيَّ أَمَلٍ بِالنَّجاةِ، وَمَعَ ظُهُوْرِ خُيُوْطِ الفَجْرِ الأُوْلَى الَّتِي أَخَذَتْ تَتَخَلَّلُ العَتَمَةَ اِكْتَشَفَ (أندروكليس) أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى وَ لَمْ تَعُدْ سَاقَاهُ تَقْوَى عَلَى النُّهُوْضِ، أَوْ حَمْلِ ثِقَلِ جِسْمِهِ، فَجَلَسَ لِيَسْتَرِيْحَ قُرْبَ إِحْدَى الصُّخُوْرِ النَّاتِئَةِ، وَهُنَاكَ اِكْتَشَفَ وُجُوْدَ كَهْفٍ، فَانْسَلَّ إِلَى دَاخِلِهِ، وَغَطَّ فِي نَوْمٍ عَمِيْقٍ.

وَلَكِنْ سَرْعَانَ مَا اِسْتَفَاقَ مِنْ نَوْمِهِ عَلَى صَوْتِ زَئِيْرٍ مُرْعِبٍ، فَهَبَّ مَذْعُوْراً لِيَجِدَ أَمَامَهُ أَسَداً ضَخْماً جَالِساً عِنْدَ مَدْخَلِ الكَهْفِ، فَالْتَفَتَ إِلَى الوَرَاءِ بَحْثاً عَنْ مَخْرَجٍ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَيَّ مَنْفَذٍ أَوْ مَمَرٍّ، أَيْ إِنَّهُ لَا مَفَرَّ مِنْ ذَلِكَ الأَسَدِ المُرْعِبِ الَّذِي وَقَعَ (أندروكليس) فِي قَبْضَتِهِ، فَجَمَدَ فِي مَكَانِهِ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ بِالمَوْتِ الَّذِي بَاتَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.

إِلَّا أَنَّ الأَسَدَ لَمْ يُهَاجِمْ (أندروكليس)، بَلْ جَلَسَ فِي تِلْكَ البُقْعَةِ، وَأَخَذَ يَلْعَقُ قَدَمَهُ وَهُوَ يَئِنُّ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ،

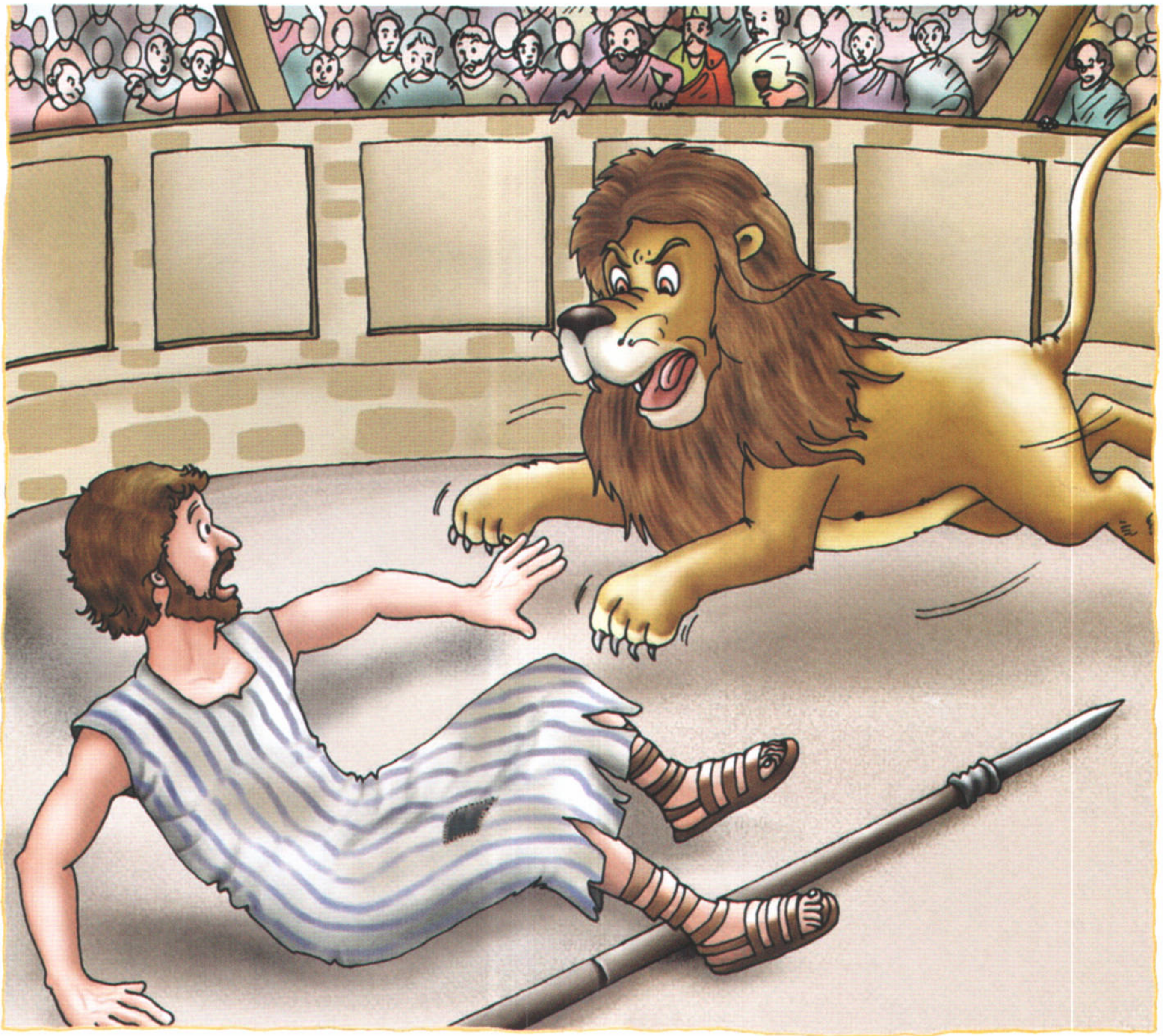
وَعِنْدَمَا رَأَى (أندروكليس) ذَلِكَ المَشْهَدَ تَنَاسَى خَوْفَهُ، وَانْدَفَعَ نَحْوَ الأَسَدِ الجَرِيْحِ، وَأَخَذَ يُعَايِنُ قَائِمَتَهُ بِرِفْقٍ، فَوَجَدَ شَوْكَةً تَحْتَ قَائِمَةِ الأَسَدِ، فَسَلَّهَا بِحَرَكَةٍ سَرِيْعَةٍ مِنْهُ.

وَهَكَذَا لَمْ يَعُدِ الأَسَدُ يَشْعُرُ بِأَيِّ أَلَمٍ حِيْنَمَا وَضَعَ قَائِمَتَهُ عَلَى الأَرْضِ، وَلِدَهْشَةِ (أندروكليس) غَادَرَ ذَلِكَ الأَسَدُ الكَهْفَ، إِلَّا أَنَّ دَهْشَتَهُ تَعَاظَمَتْ عِنْدَمَا عَادَ الأَسَدُ بِأَرْنَبٍ إِلَى الكَهْفِ، وَرَمَاهُ عِنْدَ قَدَمَيْ (أندروكليس) الَّذِي طَهَاهُ، وَتَنَاوَلَهُ، فَقَدْ كَانَ يَشْعُرُ بِجُوْعٍ شَدِيْدٍ.

وَبَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَ (أندروكليس) طَعَامَهُ، وَحَصَلَ عَلَى قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ؛ قَرَّرَ مُتَابَعَةَ المَسِيْرِ نَحْوَ السَّاحِلِ، بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يَمْضِ عَلَى مُتَابَعَتِهِ رِحْلَتَهُ سِوَى وَقْتٍ قَصِيْرٍ حِيْنَمَا أَلْقَى جُنُوْدٌ رُوْمَانِيُّوْنَ القَبْضَ عَلَيْهِ، وَاقْتَادُوْهُ إِلَى سَيِّدِهِ.

وَبِمَا أَنَّ صِفَةَ القَسْوَةِ كَانَتْ هِيَ الصِّفَةَ الغَالِبَةَ لَدَى الرُّوْمَانِيِّيْنَ القُدَمَاءِ؛ لِذَا فَقَدْ كَانُوا يُعَاقِبُوْنَ مَنْ يَهْرُبُ مِنْ عَبِيْدِهِمْ بِعُقُوْبَاتٍ قَاسِيَةٍ وَشَدِيْدَةٍ.





حَيْثُ كَانُوا يَرْمُوْنَ العُصَاةَ مِنَ العَبِيْدِ لِلْوُحُوْشِ الضَّارِيَةِ الَّتِي كَانُوا يَتْرُكُوْنَهَا بِلَا طَعَامٍ مُدَّةً طَوِيْلَةً دَاخِلَ أَقْفَاصِهَا، ثُمَّ يُطْلِقُوْنَهَا لِتَنْهَشَ أَجْسَادَ هَؤُلَاءِ العَبِيْدِ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَجَمْهَرُوْنَ لِمُشَاهَدَةِ ذَلِكَ العِقَابِ الأَلِيْمِ، وَلِيَسْتَمْتِعُوا بِمَشَاهِدِ تَعْذِيْبِ أُوْلَئِكَ العَبِيْدِ، وَكَانَتْ تَتِمُّ فِي أَيَّامِ العُطَلِ الرَّسْمِيَّةِ.

وَفِي ذَلِكَ اليَوْمِ المَشْهُوْدِ تَحَلَّقَ الجَمِيْعُ فِي السَّاحَةِ، وَجَلَسُوا فِي صُفُوْفٍ مُتَعَاقِبَةٍ، بَيْنَمَا وَقَفَ رَجُلٌ يَنْتَظِرُ عِقَابَهُ فِي المَسَاحَةِ الخَالِيَةِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ سِوَى المِسْكِيْنِ (أندروكليس).

بَدَأَ النَّاسُ بِالسُّخْرِيَةِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي أَخَذَ يَرْتَجِفُ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ سَيُصْبِحُ ضَحِيَّةً لِوَحْشٍ كَاسِرٍ سَيَنْفَلِتُ مِنْ عِقَالِهِ عَمَّا قَرِيْبٍ، وَقَدْ كَانَ المِسْكِيْنُ (أندروكليس) يَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ الوَحْشَ سَيُقَطِّعُهُ إِرْباً إِرْباً، وَلِذَا كَانَ يَصْعُبُ عَلَيْهِ أَنْ يُمْسِكَ بِالرُّمْحِ الَّذِي أَعْطَوْهُ إِيَّاهُ لِيُدَافِعَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ.

وَأَخِيْراً أَعْطَى الإِمْبَرَاطُوْرُ الرُّوْمَانِيُّ إِشَارَةَ البَدْءِ بِحَفْلَةِ التَّعْذِيْبِ، فَصَرَخَ المُحْتَشِدُوْنَ بِجُنُوْنٍ وَهُمْ يَرَوْنَ (أندروكليس) وَهُوَ يُحَاوِلُ النُّهُوْضَ لِمُلَاقَاةِ مَصِيْرِهِ، أَمَّا خَارِجَ الحَلْبَةِ فَكَانَ أَسَدٌ هَائِجٌ يَقْفِزُ بِاتِّجَاهِ ذَلِكَ العَبْدِ المِسْكِيْنِ، فَأَلْهَبَ ذَلِكَ المَشْهَدُ المُثِيْرُ حَمَاسَةَ الحَاضِرِيْنَ، فَسَقَطَ الرُّمْحُ مِنْ يَدِ (أندروكليس) كَمَا تَهَاوَى جَسَدُهُ الضَّعِيْفُ مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ.



وَفَجْأَةً سَادَ المَكَانَ صَمْتٌ مُطْبِقٌ؛ وَذلِكَ لِأَنَّ الأَسَدَ تَوَقَّفَ عَنِ الاِقْتِرَابِ، وَسَكَنَ بَعْدَ هِيَاجِهِ، وَأَحْجَمَ عَنْ مُهَاجَمَةِ (أندروكليس)، وتَمَدَّدَ عِوَضاً عَنْ ذَلِكَ عِنْدَ قَدَمَيْهِ، وَأَخَذَ يَلْعَقُهُمَا بِشَغَفٍ وَمَحَبَّةٍ!

بَيْدَ أَنَّ الرّجْفَةَ الَّتِي كَانَتْ تَسْرِي فِي جَسَدِ (أندروكليس) لَمْ تَتَوَقَّفْ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّعُ حُدُوْثَ شَيْءٍ مَا، وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ مَا يَجْرِي مِنْ حَوْلِهِ، وَهُنَا أَدْرَكَ أَنَّ هَذَا الأَسَدَ هُوَ الأَسَدُ ذَاتُهُ الَّذِي أَخْرَجَ الشَّوْكَةَ مِنْ قَائِمَتِهِ، لِذَا، وَلِفَرْطِ إِحْسَاسِهِ بِالفَرَحِ وَالعِرْفَانِ بِالجَمِيْلِ، أَقْبَلَ عَلَى ذَلِكَ الأَسَدِ وَهُوَ يُعَانِقُهُ بَاكِياً.

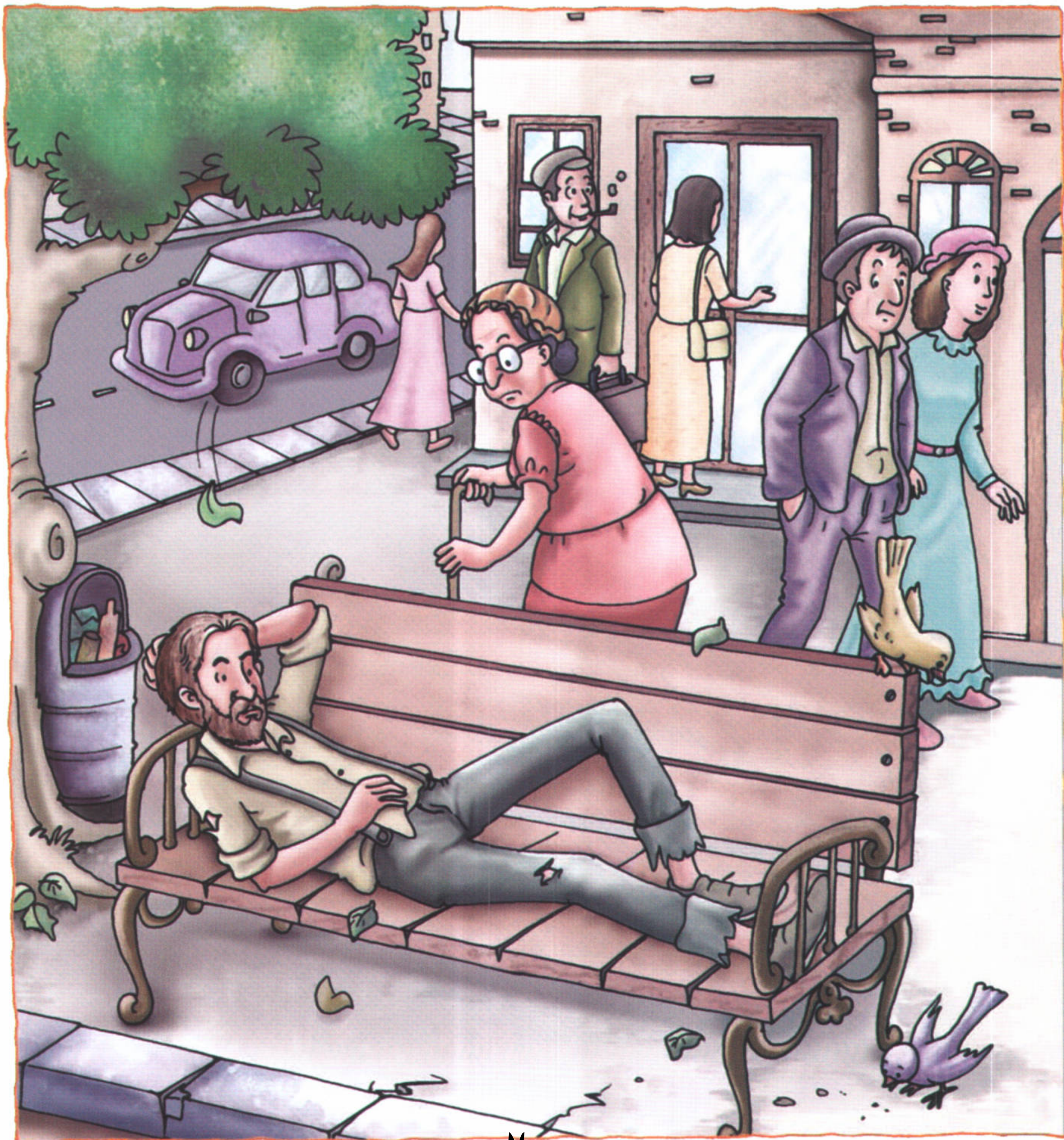
أَخَذَتِ الجَمَاهِيْرُ تُتَابِعُ هَذَا المَشْهَدَ بِأَفْوَاهٍ فَاغِرَةٍ مِنَ الدَّهْشَةِ، فَلَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ أَنْ تَعَرَّضُوا، أَوْ سَمِعُوا، أَوْ رَأَوْا مِثْلَ هَذَا المَوْقِفِ الغَرِيْبِ، وَعِنْدَهَا طَلَبَ الإِمْبَرَاطُوْرُ مِنْ (أندروكليس) تَفْسِيْراً لِمَا يَجْرِي، فَاسْتَغْرَبَ مِنَ القِصَّةِ الَّتِي رَوَاهَا لَهُ (أندروكليس)، فَمَا كَانَ مِنَ الإِمْبَرَاطُوْرِ إِلَّا أَنْ مَنَحَهُ حُرِّيَّتَهُ، وَخَلَّصَهُ مِنْ عُبُوْدِيَّتِهِ تَقْدِيْراً لِعَمَلِهِ الإِنْسَانِيِّ النَّبِيْلِ.

غَيْرَ أَنَّ (أندروكليس) طَلَبَ مِنَ الإِمْبَرَاطُوْرِ هِبَةً أُخْرَى، أَلَا وَهِيَ إِطْلَاقُ سَرَاحِ ذَلِكَ الأَسَدِ أَيْضاً.

حِكَايَةُ الشُّرطِيِّ وَالدُّعَاءِ

كَانَ (سَاهِرٌ) يَتَحَرَّكُ بِاضْطِرَابٍ فَوْقَ المَقْعَدِ المَوْجُوْدِ فِي سَاحَةِ المَدِيْنَةِ، فَقَدِ اشْتَدَّتْ بُرُوْدَةُ الطَّقْسِ، وَاقْتَرَبَ فَصْلُ الشِّتَاءِ، وَفِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ سَقَطَتْ وَرَقَةٌ مِنْ شَجَرَةٍ قَرِيْبَةٍ فَوْقَ رَأْسِ (سَاهِرٍ)، فَتَذَكَّرَ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً مَعَ اقْتِرَابِ حُلُوْلِ الشِّتَاءِ لِئَلَّا يَمُوْتَ مِنَ الجُوْعِ أَوِ البَرْدِ.

كَانَ (سَاهِرٌ) رَجُلاً مُشَرَّداً لَا بَيْتَ يُؤْوِيْهِ، وَلَا يُزَاوِلُ أَيَّ مِهْنَةٍ يَتَكَسَّبُ مِنْهَا، وَقَدِ اعْتَادَ حَيَاةَ التَّرْحَالِ وَالسَّفَرِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ.





أَجل، لَمْ يَكُنْ لَدَى (سَاهِر) بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، أَوْ عَمَلٌ يَتَكَسَّبُ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ حَيَاةَ التَّرْحَال، لَكِنَّهُ كَانَ يَرْغَبُ فِي السَّفَرِ إِلَى المَدِيْنَةِ؛ وَذَلِكَ لِوُجُودِ سِجْنٍ فِيْهَا، وَلِأَنَّهُ يُحِبُّ حَيَاةَ السِّجْنِ، حَيْثُ يُمْكِنُهُ الحُصُوْلُ عَلَى الطَّعَامِ وَالمَأْوَى بِلَا تَعَبٍ أَوْ نَصَبٍ.

فَعَلَى مَدَى سَنَوَاتٍ عَدِيْدَةٍ كَانَ سِجْنُ العَاصِمَةِ المَكَانَ الَّذِي يُؤْوِي (سَاهِراً) خِلَالَ فَتْرَةِ الشِّتَاءِ، فَفِي الوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيْهِ أَغْنِيَاءُ المَدِيْنَةِ يَقْضُوْنَ تِلْكَ الفَتْرَةَ فِي المَنَاطِقِ الدَّافِئَةِ كَانَ (سَاهِرٌ) يُعِدُّ تَرْتِيْبَاتِهِ لِتَمْضِيَةِ أَشْهُرِ الشِّتَاءِ فِي سِجْنِ العَاصِمَةِ.

وَهَا قَدْ أَصْبَحَ فَصْلُ الشِّتَاءِ الآنَ عَلَى الأَبْوَابِ.

وَفِي المَرَّةِ السَّابِقَةِ الَّتِي قَضَاهَا (سَاهِرٌ) فِي السِّجْنِ، كَانَ يَعْمَدُ إِلَى حَشْوِ بِنْطَالِهِ وَمِعْطَفِهِ بِأَوْرَاقِ الجَرَائِدِ لِيُدَفِّئَ نَفْسَهُ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَقِيَهُ شَرَّ البَرْدِ حِيْنَمَا كَانَ يَنَامُ عَلَى المَقْعَدِ بِالقُرْبِ مِنَ البِرْكَةِ.

كَانَ (سَاهِرٌ) يَكْرَهُ أَنْ يَبْقَى عَالَةً عَلَى النَّاسِ، يَتَلَقَّى الصَّدَقَاتِ وَالهِبَاتِ مِنْهُمْ، إِذْ كَانَ بِوُسْعِهِ الحُصُوْلُ عَلَى مَأْوىً لَهُ لَدَى العَدِيْدِ مِنَ المُؤَسَّسَاتِ الخَيْرِيَّةِ المَوْجُوْدَةِ فِي المَدِيْنَةِ، غَيْرَ أَنَّ عِزَّةَ نَفْسِهِ الأَبِيَّةِ كَانَتْ تَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ قَبُوْلَهُ لِأَيِّ مَعُوْنَةٍ يُعَدُّ إِهَانَةً بِالنِّسْبَةِ لَهُ، كَمَا أَنَّ تِلْكَ المُؤَسَّسَاتِ تَفْرِضُ عَلَى مَنْ تَرْعَاهُمْ قَوَانِيْنَ مُحَدَّدَةً لَا يَنْبَغِي لِأَيِّ أَحَدٍ تَجَاوُزُهَا، وَمِنْ تِلْكَ القَوَانِيْنِ أَنَّهُ لَابُدَّ لَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ قَبْلَ النَّوْمِ، وَرَغْمَ إِمْكَانِيَّةِ حُصُوْلِهِ عَلَى الطَّعَامِ هُنَاكَ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يُحَتِّمُ عَلَيْهِ أَنْ يُجِيْبَ عَلَى عَدَدٍ مِنَ الأَسْئِلَةِ الشَّخْصِيَّةِ، لِذَا فَقَدْ فَضَّلَ (سَاهِرٌ) حَيَاةَ السِّجْنِ عَلَى العَيْشِ فِي تِلْكَ الأَمَاكِنِ، فَعَلَى وُجُوْدِ بَعْضِ القَوَاعِدِ الَّتِي لَابُدَّ مِنَ الالْتِزَامِ بِهَا دَاخِلَ السِّجْنِ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّهُ لَا يَحِقُّ لِأَيِّ أَحَدٍ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِي شُؤُوْنِهِ الخَاصَّةِ.

قَرَّرَ (سَاهِرٌ) أَخِيْراً الذَّهَابَ إِلَى المَدِيْنَةِ، حَيْثُ تَتَوَفَّرُ العَدِيْدُ مِنَ السُّبُلِ اليَسِيْرَةِ لِلْوُصُوْلِ إِلَى غَايَتِهِ، أَبْسَطُهَا الذَّهَابُ إِلَى مَطْعَمٍ وَتَنَاوُلُ وَجْبَةٍ هُنَاكَ، وَمِنْ ثَمَّ التَّذَرُّعُ بِعَدَمِ القُدْرَةِ عَلَى دَفْعِ الحِسَابِ، وَبِنَاءً عَلَيْهِ سَيَتِمُّ تَسْلِيْمُهُ لِرِجَالِ الشُّرْطَةِ الَّذِيْنَ سَيَنْقُلُوْنَهُ إِلَى سِجْنِ العَاصِمَةِ.

غَادَرَ (سَاهِرٌ) المَقْعَدَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَسَارَ إِلَى الشَّارِعِ القَرِيْبِ الَّذِي أُقِيْمَ فِيْهِ أَحَدُ المَطَاعِمِ الفَخْمَةِ.

وَلَقَدْ كَانَ (سَاهِرٌ) يَتَمَتَّعُ بِثِقَةٍ كَبِيْرَةٍ بِنَفْسِه، لِذَا شَذَّبَ لِحْيَتَهُ وَارْتَدَى مَلَابِسَ أَنِيْقَةً، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى المَطْعَمِ، وَطَلَبَ بَطَّةً مَشْوِيَّةً، وَزُجَاجَةً مِنْ شَرَابِ التُّوْتِ، حَيْثُ يُمْكِنُ لِهَذِهِ الوَجْبَةِ الشَّهِيَّةِ أَنْ تُشْعِرَهُ بِالامْتِلَاءِ وَالحُبُوْرِ طِيْلَةَ الرِّحْلَةِ الَّتِي سَتَنْقُلُهُ إِلَى السِّجْنِ.

وَلَكِنْ فَوْرَ وَضْعِ (سَاهِرٍ) قَدَمَهُ عِنْدَ عَتَبَةِ المَطْعَمِ انْتَبَهَ كَبِيْرُ النَّادِلِيْنَ لِبِنْطَالِهِ المُهْتَرِئِ وَحِذَائِهِ العَتِيْقِ، وَسَرْعَانَ مَا تَقَاذَفَتْهُ الأَيَادِي، وَرَمَتْهُ خَارِجَ المَطْعَمِ.

وَلَمَّا عَادَ (سَاهِرٌ) إِلَى الرَّصِيْفِ مَرَّةً أُخْرَى؛ أَدْرَكَ أَنَّ رِحْلَتَهُ إِلَى سِجْنِ العَاصِمَةِ لَنْ تَكُوْنَ بِالرِّحْلَةِ اليَسِيْرَةِ.

غَادَرَ (سَاهِرٌ) ذَلِكَ الشَّارِعَ، فَطَالَعَتْهُ وَاجِهَةُ أَحَدِ المَتَاجِرِ الَّتِي كَانَتْ مُضَاءَةً بِكَامِلِهَا لِلَفْتِ النَّظَرِ إِلَى مَعْرُوْضَاتِهَا، عِنْدَهَا الْتَقَطَ (سَاهِرٌ) حَجَراً، وَرَمَى بِهِ زُجَاجَ تِلْكَ الوَاجِهَةِ، فَهُرِعَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ المَكَانِ، وَسَرْعَانَ مَا وَصَلَ أَحَدُ رِجَالِ الشُّرْطَةِ إِلَى مَوْقِعِ الحَدَثِ، فَتَسَمَّرَ (سَاهِرٌ) فِي مَكَانِهِ، وَأَخَذَ يَبْتَسِمُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الأَزْرَارِ المَعْدِنِيَّةِ المَوْجُوْدَةِ عَلَى الزِّيِّ العَسْكَرِيِّ الَّذِي يَرْتَدِيْهِ رَجُلُ الشُّرْطَةِ.





عِنْدَهَا صَرَخَ الشُّرطِيُّ بِغَضَبٍ قَائِلاً: "أَيْنَ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي فَعَلَ هَذَا؟"

فَسَأَلَهُ (سَاهِرٌ) وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَاثِقاً مِنْ نَجَاحِ خُطَّتِهِ: "أَلَا تَظُنُّ أَنَّنِي أَنَا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؟"

إلّا أَنَّ الشُّرْطِيَّ لَمْ يُصَدِّقْ أَنَّ (سَاهِراً) هُوَ الشَّخْصُ المُذْنِبُ، فَمَنْ يُحَطِّمْ زُجَاجَ وَاجِهَاتِ المَحَالِّ؛ لَا يَبْقَى وَاقِفاً فِي مَكَانِ الجَرِيمَةِ لِيَعْتَرِفَ بِذَنْبِهِ، بَلْ يَفِرُّ هَارِباً، لِذَا فَقَدْ تَجَاهَلَهُ، ثُمَّ رَأَى رَجُلاً يُهَرْوِلُ لِيَرْكَبَ الحَافِلَةَ، فَبَدَأَ بِمُطَارَدَتِهِ عَلَى الفَوْرِ.

فَتَابَعَ (سَاهِرٌ) سَيْرَهُ حَزِيناً بَائِساً؛ وَذَلِكَ لِفَشَلِ خُطَّتِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

وَعَلَى الطَّرَفِ المُقَابِلِ لِلشَّارِعِ صَادَفَ (سَاهِرٌ) مَطْعَماً بَدَا لَهُ شَعْبِيّاً؛ وَذَلِكَ لِاعْتِمَادِهِ عَلَى الآنِيَةِ الفَخَّارِيَّةِ الصَّفِيقَةِ، وَتَقْدِيمِهِ أَنْوَاعَ الحِسَاءِ الخَفِيفِ، فَدَخَلَهُ (سَاهِرٌ) بِبِنْطَالِهِ المُهْتَرِئِ وَحِذَائِهِ المُتَّسِخِ، وَاحْتَلَّ إِحْدَى الطَّاوِلَاتِ، وَطَلَبَ وَجْبَةً مِنْ شَرَائِحِ لَحْمِ البَقَرِ، إِضَافَةً إِلَى بَعْضِ الحُلْوِيَّاتِ مَعَ القَهْوَةِ، وَبَعْدَ أَنْ شَبِعَ طَلَبَ مِنَ النَّادِلِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ شَرْوَى نَقِيرٍ أَنْ يَدْفَعَ الحِسَابَ عَنْهُ.

ثُمَّ عَاجَلَهُ (سَاهِرٌ) بِالقَوْلِ: "أُطْلُبِ الشُّرْطَةَ إِنْ شِئْتَ".

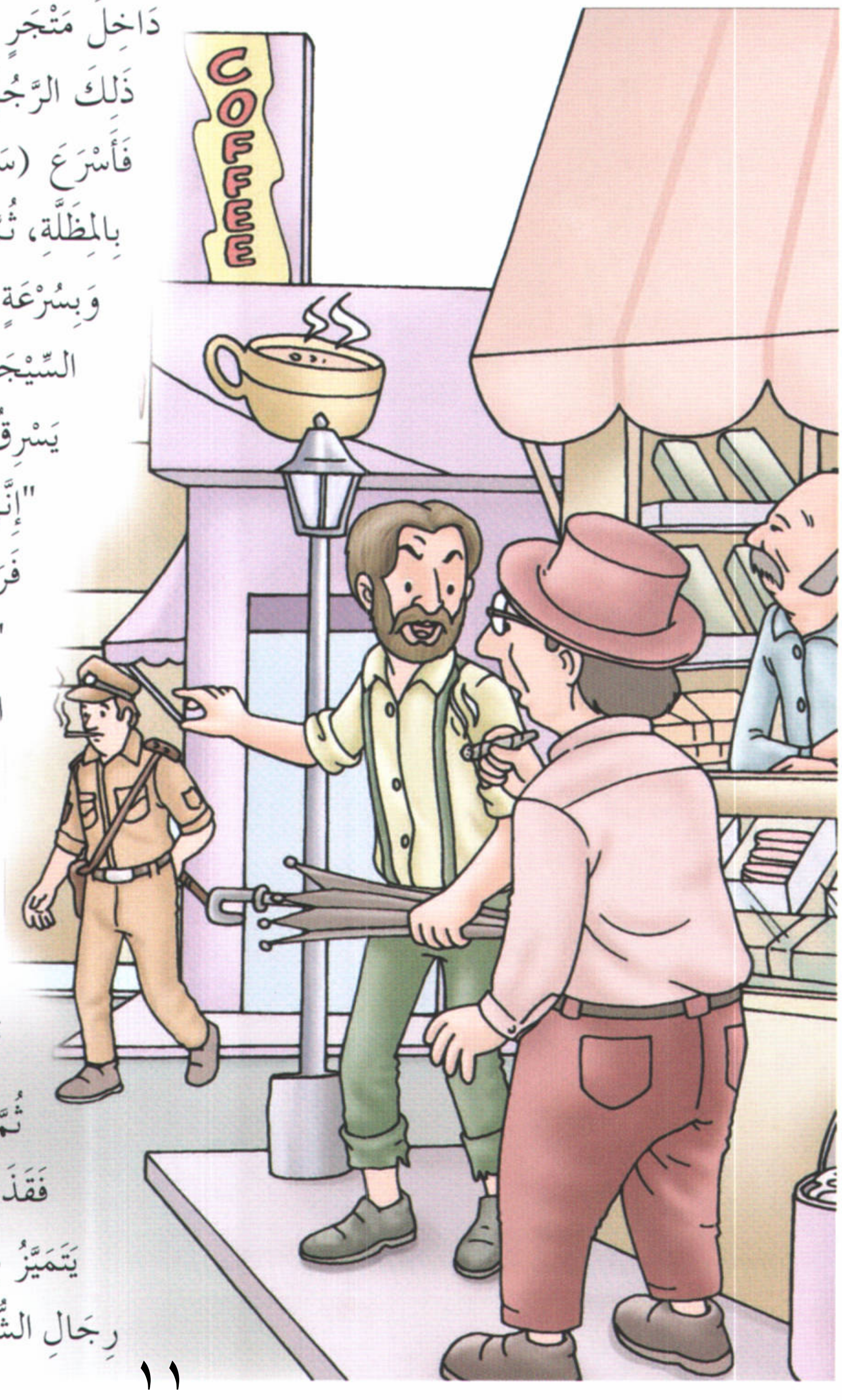
فَأَجَابَهُ النَّادِلُ وَهُوَ يَسْتَشِيطُ غَضَباً: "لَنْ أَطْلُبَ الشُّرْطَةَ لِأَمْثَالِكَ"، وَهُنَا اسْتَعَانَ النَّادِلُ بِشَخْصَيْنِ يَعْمَلَانِ فِي ذَلِكَ المَطْعَمِ، فَأَلْقَيَا (سَاهِراً) عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَسَقَطَ عَلَى أُذُنِهِ اليُسْرَى الَّتِي آلَمَتْهُ بِشِدَّةٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ النُّهُوضَ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ، وَكَانَ أَحَدُ رِجَالِ الشُّرْطَةِ يَقِفُ عَلَى بُعْدِ بِنَاءَيْنِ مِنْ مَوْقِعِ الحَدَثِ، وَيُتَابِعُ هَذَا المَشْهَدَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَدَخَّلْ، بَلْ وَقَفَ وَأَخَذَ يَضْحَكُ عَلَى كُلِّ مَا رَآهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

عِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الخَوْفُ يَتَسَرَّبُ إِلَى نَفْسِ (سَاهِرٍ)، فَقَدْ كَانَ يُرِيْدُ أَنْ يُلْقِيَ رِجَالُ الشُّرْطَةِ القَبْضَ عَلَيْهِ بِأَيِّ ثَمَنٍ، لِذَا قَرَّرَ أَنْ يُكَرِّرَ المُحَاوَلَةَ مَرَّةً أُخْرَى.

وَبَعْدَ وُقُوْفِهِ عَلَى الرَّصِيْفِ أَخَذَ (سَاهِرٌ) يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ بِطَرِيْقَةٍ مُتَقَطِّعَةٍ، ثُمَّ بَدَأَ يَرْقُصُ وَيَزْعَقُ وَيَهْذِي كَالسَّكْرَانِ، إِلَّا أَنَّ مُحَاوَلَتَهُ تِلْكَ بَاءَتْ بِالفَشَلِ أَيْضاً؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشُّرْطِيَّ الَّذِي رَآهُ ظَنَّ أَنَّهُ طَالِبٌ يَحْتَفِلُ بِنَجَاحِهِ.

وَهُنَا شَعَرَ (سَاهِرٌ) بِأَنَّهُ لَنْ يَصِلَ أَبَداً إِلَى سِجْنِ العَاصِمَةِ، فَارْتَدَى مِعْطَفَهُ الَّذِي كَانَ يَدْرَأُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ بُرُوْدَةَ الرِّيَاحِ.

وَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ شَاهَدَ رَجُلاً يَرْتَدِي ثِيَاباً فَاخِرَةً وَهُوَ يُشْعِلُ سِيْجَاراً دَاخِلَ مَتْجَرٍ يَبِيْعُ مُخْتَلَفَ أَنْوَاعِ السِّيْجَارِ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ قَدْ تَرَكَ مِظَلَّتَهُ عِنْدَ بَابِ المَتْجَرِ، فَأَسْرَعَ (سَاهِرٌ) نَحْوَ بَابِ المَتْجَرِ، وَأَمْسَكَ بِالمِظَلَّةِ، ثُمَّ انْسَلَّ هَارِباً بِهُدُوْءٍ.



وَبِسُرْعَةٍ تَبِعَهُ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يُشْعِلُ السِّيْجَارَ، فَقَدْ شَاهَدَ بِأُمِّ عَيْنِهِ ذَلِكَ الرَّجُلَ يَسْرِقُ مِظَلَّتَهُ، ثُمَّ صَرَخَ بِهِ بِلَهْجَةٍ صَارِمَةٍ: "إِنَّهَا مِظَلَّتِي يَا سَيِّدُ!"

فَرَدَّ عَلَيْهِ (سَاهِرٌ) بِطَرِيْقَةٍ مُهِيْنَةٍ: "عَفْواً، أَهِيَ لَكَ؟ لِمَاذَا لَمْ تَسْتَدْعِ الشُّرْطَةَ إِذاً؟ هُنَالِكَ شُرْطِيٌّ يَقِفُ عَلَى نَاصِيَةِ الطَّرِيْقِ".

فَتَرَدَّدَ صَاحِبُ المِظَلَّةِ بُرْهَةً، ثُمَّ قَالَ: "عَفْواً، أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ الأَخْطَاءُ، أَجَلْ، إِنَّهَا مِظَلَّتُكَ، أَنَا أَعْتَذِرُ!"

ثُمَّ غَادَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ المَكَانَ مِنْ فَوْرِهِ.

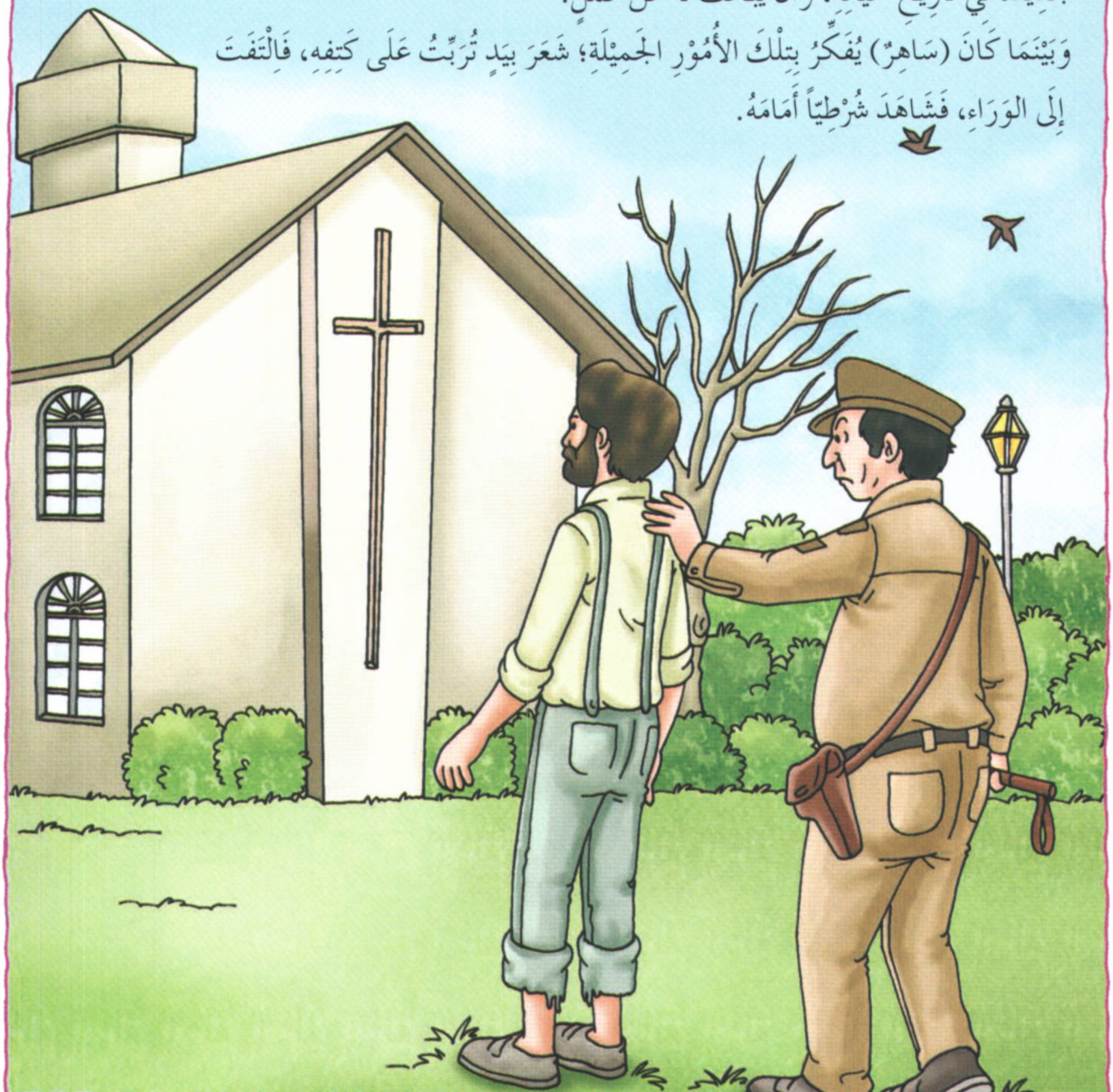
فَقَذَفَ (سَاهِرٌ) بِالمِظَلَّةِ بَعِيْداً وَهُوَ يَكَادُ يَتَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ، وَيُطْلِقُ الشَّتَائِمَ بِحَقِّ كُلِّ رِجَالِ الشُّرْطَةِ.

لَقَدْ كَانُوا يُعامِلُوْنَهُ وَكَأَنَّهُ المَلِكُ الَّذِي لا يُمْكِنُ أَنْ يُحاسَبَ عَلى أَيِّ خَطأٍ.

عِنْدَهَا يَمَّمَ (سَاهِرٌ) وَجْهَهُ شَطْرَ بَيْتِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ مَقْعَدٍ فِي الحَدِيْقَةِ المَوْجُوْدَةِ عِنْدَ سَاحَةِ القَرْيَةِ، وَفِي الطَّرِيْقِ مَرَّ قُرْبَ مَسْجِدٍ قَدِيْمٍ، فَسَمِعَ صَوْتَ دُعَاءٍ وَابْتِهَالٍ جَعَلَهُ يَتَوَقَّفُ لِلَحَظَاتٍ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الأَدْعِيَةَ وَالابْتِهَالاتِ ذَكَّرَتْهُ بِالأَيَّامِ الجَمِيْلَةِ الَّتِي كَانَ يَنْعَمُ فِيْهَا بِصُحْبَةِ أُمِّهِ وَأَصْدِقَائِهِ، كَمَا ذَكَّرَتْهُ بِالأَحْلامِ الجَمِيْلَةِ، وَالأَفْكَارِ الرَّائِعَةِ الَّتِي كَانَتْ تُرَاوِدُهُ.

إِلَّا أَنَّ صَوْتَ الدُّعَاءِ وَالابْتِهَالِ قَدْ حَمَلَ مَعَهُ رِيَاحَ التَّغْيِيْرِ إِلَى نَفْسِ (سَاهِرٍ)، لِذَا قَرَّرَ أَنْ يَفْتَحَ صَفْحَةً جَدِيْدَةً فِي تَارِيْخِ حَيَاتِهِ، وَأَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ عَمَلٍ.

وَبَيْنَمَا كَانَ (سَاهِرٌ) يُفَكِّرُ بِتِلْكَ الأُمُوْرِ الجَمِيْلَةِ؛ شَعَرَ بِيَدٍ تُرَبِّتُ عَلَى كَتِفِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَى الوَرَاءِ، فَشَاهَدَ شُرْطِيّاً أَمَامَهُ.





نَظَرَ إِلَيْهِ الشُّرْطِيُّ بِرِيْبَةٍ وَقَالَ: "مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَا هَذَا؟"

أَجَابَهُ (سَاهِرٌ) وَالحَيْرَةُ بَادِيَةٌ عَلَى وَجْهِهِ: "لا شَيْءَ".

خَاطَبَهُ الشُّرْطِيُّ: "تَعَالَ مَعِي إِذاً".

وَفِي مَحْكَمَةِ الشُّرْطَةِ أَصْدَرَ القَاضِي حُكْماً عَلَى (سَاهِرٍ) يَقْضِي بِحَبْسِهِ فِي سِجْنِ العَاصِمَةِ مُدَّةَ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ.

الحُرِّيَّةُ للأَطفالِ: هَلْ يَنبَغِي أنْ تكونَ مُقيَّدَةً أوْ مُطلَقَةً؟

نَطْمَحُ جَمِيْعاً لأَنْ نَكُوْنَ أَحْرَاراً، فَالعظَامُ مِنَ الرِّجَالِ كَـ(المهاتما غاندي) حَارَبُوا بِبَسَالَةٍ لِنَيْلِ حُرِّيَّتِهِمْ، فَحُبُّ الحُرِّيَّةِ حَقٌّ طَبِيْعِيٌّ وَمَشْرُوْعٌ لِكُلِّ فَرْدٍ، سَوَاءٌ أَكَانَ صَغِيْراً أَمْ كَبِيْراً.

بَيْدَ أَنَّ مُشْكِلَةَ الحُرِّيَّةِ تَكْمُنُ في خُطُوْرَتِهَا، وَذَلِكَ عِنْدَ عَدَمِ ضَبْطِهَا، بِالرَّغْمِ مِنَ السِّحْرِ وَالبَرِيْقِ الَّذِي يُحِيْطُ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ، لِذَا لَابُدَّ مِنْ تَقْيِيْدِ حُرِّيَّةِ سَائِرِ البَشَرِ، أَيْ وَضْعِهَا تَحْتَ السَّيْطَرَةِ، إِذْ يَحِقُّ لِلْكِبَارِ قِيَادَةُ السَّيَّارَاتِ مَثَلاً، لَكِنْ لَيْسَ وَفْقاً لأَهْوَائِهِمْ، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا مَجْمُوْعَةً مِنَ القَوَاعِدِ النَّاظِمَةِ لِتِلْكَ العَمَلِيَّةِ، وَأَنْ يَتَعَرَّضُوا لِلْمُسَاءَلَةِ وَالعُقُوْبَةِ إِذَا لَمْ يَلْتَزِمُوْا بِتِلْكَ القَوَاعِدِ.

وَبِالطَّبْعِ ثَمَّةَ أَشْخَاصٌ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ التَّمْيِيْزَ بَيْنَ الضَّوَابِطِ وَالتَّقْيِيْدِ، فَالهَدَفُ مِنَ التَّقْيِيْدِ هُوَ إِخْضَاعُ المَرْءِ وَحَبْسُ حُرِّيَّتِهِ، أَمَّا الضَّوَابِطُ فَهِيَ تُشْبِهُ اللِّجَامَ الَّذِي يُوْضَعُ عَلَى رَأْسِ الفَرَسِ، إِذْ لَيْسَ الهَدَفُ مِنْ هَذَا اللِّجَامِ مَنْعَ الفَرَسِ مِنَ الجَرْيِ؛ بِقَدْرِ مَا يَهْدِفُ ذَلِكَ إِلَى ضَبْطِ حَرَكَتِهَا وَسُرْعَتِهَا حَسَبَ الحَاجَةِ وَالوِجْهَةِ، أَوْ ضِمْنَ سِبَاقٍ مُعَيَّنٍ، وَذَلِكَ لِلْفَوْزِ فِيْهِ.

وَلِنَفْهَمَ تِلْكَ العَمَلِيَّةَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَخَيَّلَ سِبَاقاً تُرِكَتْ فِيْهِ الخَيْلُ تَتَحَرَّكُ كَيْفَمَا شَاءَتْ دُوْنَ تَوْجِيْهِهَا مِنَ الفُرْسَانِ نَحْوَ الهَدَفِ، وَذَلِكَ لِعَدَمِ وُجُوْدِ ذَلِكَ اللِّجَامِ فِي رُؤُوْسِهَا، إِذاً كَيْفَ سَيَتِمُّ ذَلِكَ السِّبَاقُ؟ دَعُوْنَا نُنَاقِشْ ذَلِكَ:

سَيُغَيِّرُ أَحَدُ الخُيُوْلِ وِجْهَتِهِ عِنْدَ مُنْتَصَفِ الطَّرِيْقِ فِي السِّبَاقِ، وَسَيَتَّجِهُ نَحْوَ الجُمْهُوْرِ الَّذِي يُتَابِعُ السِّبَاقَ، وَذَلِكَ لِيَكْتَشِفَ سَبَبَ صِيَاحِهِمْ وَصُرَاخِهِمْ أَثْنَاءَ السِّبَاقِ، كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكْتَشِفَ حِصَانَانِ آخَرَانِ أَنَّ صَدَاقَةً قَدِيْمَةً كَانَتْ تَجْمَعُهُمَا، مَا سَيَدْفَعُهُمَا لِلتَّحَاوُرِ عَلَى طَرِيْقَتِهِمَا حَوْلَ الأَيَّامِ الخَوَالِي، وَذَلِكَ فِي مُنْتَصَفِ المَسَارِ المُخَصَّصِ لِلسِّبَاقِ، وَحِيْنَمَا تَتَوَقَّفُ تِلْكَ الخُيُوْلُ فَجْأَةً لَابُدَّ أَنْ يَسْقُطَ الفُرْسَانُ عَنْ ظَهْرِهَا، وَأَنْ تُكْسَرَ رِقَابُهُمْ، لِيَأْتِيَ حِصَانٌ رَابِعٌ وَيَسْحَقَهُمْ بِحَوَافِرِه، وَبِذَلِكَ سَتَتَكَدَّسُ أَجْسَامُ الفُرْسَانِ الثَّلَاثَةِ فَوْقَ الفَارِسِ الرَّابِعِ المِسْكِيْنِ، بَعْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ الحِصَانُ الخَامِسُ الأَخِيْرُ وَهُوَ يَمْشِي الهُوَيْنَى، فَيُلَاحِظُ اخْتِفَاءَ الجَمِيْعِ، وَعِنْدَهَا سَيَشْعُرُ بِالحَيْرَةِ، لِذَا سَيَتَوَقَّفُ، وَسَيَعُوْدُ أَدْرَاجَهُ إِلَى نُقْطَةِ البِدَايَةِ!

وَبِذَلِكَ سَيَتَحَوَّلُ ذَلِكَ السِّبَاقُ إِلَى سِبَاقٍ بِلَا نَتِيْجَةٍ أَوْ طَائِلٍ، لَكِنْ مَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟

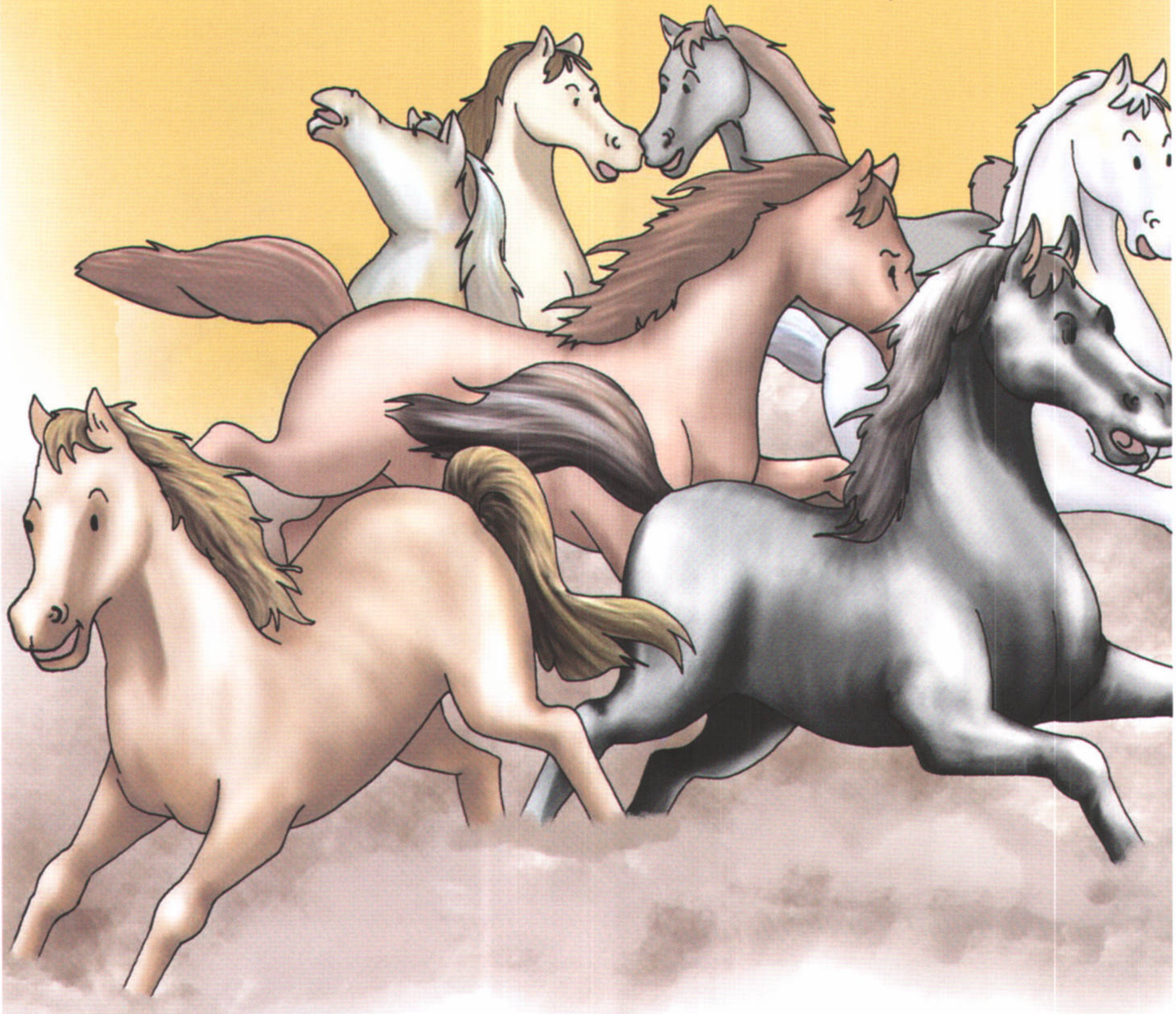
السَّبَبُ يَكْمُنُ فِي عَدَمِ وَضْعِ اللِّجَامِ فِي رُؤُوْسِ الأَحْصِنَةِ.

يَبْدُو أَنَّ مُعْظَمَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا يُدْرِكُوْنَ أَهَمِّيَّةَ مَنْحِنَا قَدْراً مِنَ الحُرِّيَّةِ المُقَيَّدَةِ، بِمَا يُشْبِهُ التَّقْيِيْدَ بِهَذَا اللِّجَامِ الَّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ، فَهُمْ يَسْمَحُوْنَ لَنَا بِاللَّعِبِ مَعَ أَصْدِقَائِنَا وَصَدِيْقَاتِنَا

الَّذِيْنَ نَخْتَارُهُمْ بِمِلْءِ إِرَادَتِنَا، لَكِنَّهُمْ لاَبُدَّ أَنَّ يَتَدَخَّلُوا فِي حَالِ تَأَكُّدِهِمْ مِنْ أَنَّ أَحَدَ الأَصْدِقَاءِ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُوْنَ صَدِيْقاً لَنَا، كَمَا أَنَّهُمْ يَتْرُكُوْنَ لَنَا حُرِّيَّةَ قِرَاءَةِ الكُتُبِ الَّتِي نَخْتَارُهَا، وَحُرِّيَّةَ اللَّعِبِ وَمُتَابَعَةَ البَرَامِجِ التِّلْفِزْيُوْنِيَّةِ الَّتِي تُفِيْدُنَا فِي دِرَاسَتِنَا، وَتَزِيْدُ مِنْ مَعَارِفِنَا.

فَلَوْ لَمْ يَمْنَحْنَا آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا هَذِهِ الحُرِّيَّةَ بِطَرِيْقَةٍ مُتَدَرِّجَةٍ وَمُوَجَّهَةٍ وَمُقَيَّدَةٍ، لَكُنَّا الآنَ نَقُوْدُ السَّيَّارَاتِ بَدَلاً مِنْ دَرَّاجَاتِنَا الهَوَائِيَّةِ، وَلَكِنَّا نَنْعُمُ بِحُرِّيَّةٍ مُطْلَقَةٍ غَيْرِ مُقَيَّدَةٍ تَدْفَعُنَا لِأَنْ يَسْحَقَ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَمِنْ ثُمَّ نُنْقَلُ إِلَى المَشْفَى بَعْدَ تَعَرُّضِنَا لِكُسُوْرٍ فِي مَنَاطِقَ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الجِسْمِ، إِضَافَةً إِلَى فِقْدَانِ جِسْمِنَا كَمِّيَّاتٍ كَبِيْرَةً مِنَ الدَّمِ، أَوْ لَكُنَّا الآنَ نَنْعُمُ بِحُرِّيَّةِ المَوْتِ فِي حَادِثٍ مُرُوْرِيٍّ.. تِلْكَ هِيَ الحُرِّيَّةُ غَيْرُ المُقَيَّدَةِ.

لِذَا فَإِنَّهُ مِنَ الأَفْضَلِ لَنَا أَنْ نَحْصُلَ عَلَى حُرِّيَّةٍ مُقَيَّدَةٍ بِشُرُوْطٍ مُحَدَّدَةٍ..

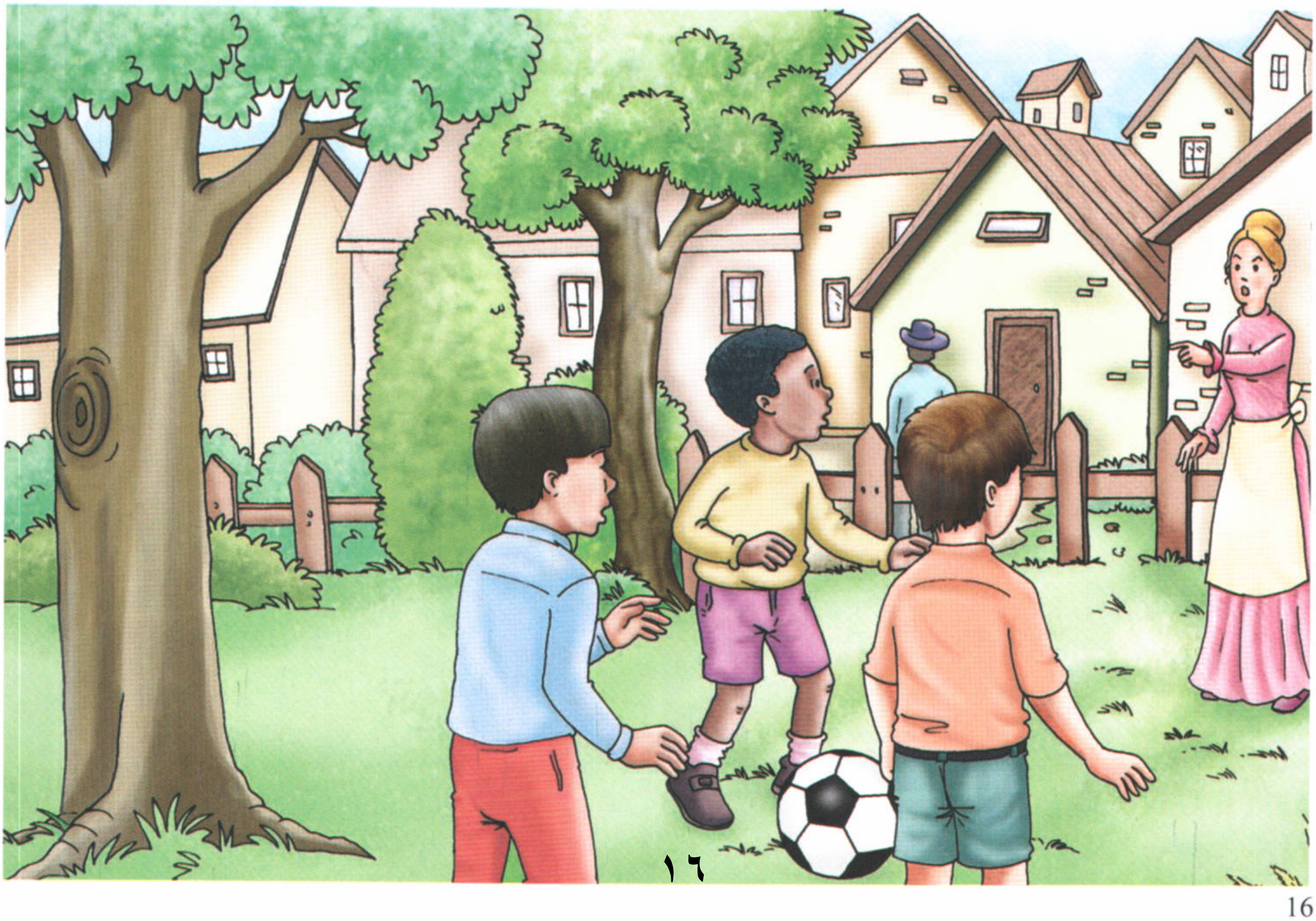


مارتن لوثر كينغ

كَانَ (مارتن) فتىً صَغِيْراً لَمْ يَتَجاوَزِ السَّادِسَةَ مِنْ عُمْرِهِ، وَكانَ يَقْضِي وَقْتَهُ بِاللَّعِبِ مَعَ وَلَدَيْ بائِعِ الخُضارِ إِلَى أَنْ تَأْتِيَ أُمُّهُما لِتَأْخُذَهُما، وَكَانَتْ تَصْرُخُ بِهِما قائِلَةً: "أَلَمْ أَنْهَكُما عَنِ اللَّعِبِ مَعَ هَذا الزِّنْجِيِّ؟ اُدْخُلا إِلَى الدُّكّانِ في الحَالِ!"

وَعِنْدَها كَانَ (مارتن) يَرْكُضُ نَحوَ بَيْتِهِ لِيَرَى أُمَّهُ وَهُوَ مَكْسُوْرُ الخَاطِرِ وَالحَيْرَةُ تَأْكُلُ قَلْبَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ سَبَبَ طَرْدِ تِلْكَ المَرْأَةِ ذاتِ البَشَرَةِ البَيْضاءِ لَهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ وَقْتَها ما تَعْنِيْهِ كَلِمَةُ زِنْجِيٍّ، وَكَانَ كُلُّ ما يَرْغَبُ فِيْهِ بَعْدَ تِلْكَ الحَوادِثِ المُتَكَرِّرَةِ هُوَ أَنْ يَنْعَمَ بِالرَّاحَةِ وَالحَنَانِ في حِضْنِ أُمِّهِ، الَّتِي كَانَتْ تُعانِقُهُ بِكُلِّ مَحَبَّةٍ، وَتَقُوْلُ لَهُ: "لَا تَغْضَبْ يا بُنَيَّ مِنْ تِلْكَ السَّيِّدَةِ، لَكِنْ لَا تُعاوِدِ اللَّعِبَ مَعَ أَوْلَادِها بَعْدَ اليَوْمِ؛ لِأَنَّها لا تُرِيْدُهُمْ أَنْ يَلْعَبُوا مَعَكَ، لَكِنْ لَابُدَّ أَنْ تَجِدَ لِنَفْسِكَ أَصْدِقاءَ آخَرِيْنَ، وَتَذَكَّرْ دَائِماً بِأَنَّكَ إِنْسَانٌ طَيِّبٌ، وَأَنَّكَ لا تَقِلُّ قِيْمَةً عَنْ غَيْرِكَ أَبَداً".

وَهَكَذا أَصْبَحَتْ كَلِماتُ أُمِّ (مارتن) مَحْفُوْرَةً فِي ذَاكِرَتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ يَنْسَى أَنَّهُ إِنْسَانٌ طَيِّبٌ وَرائِعٌ وَلَا يَقِلُّ قِيْمَةً عَنْ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.



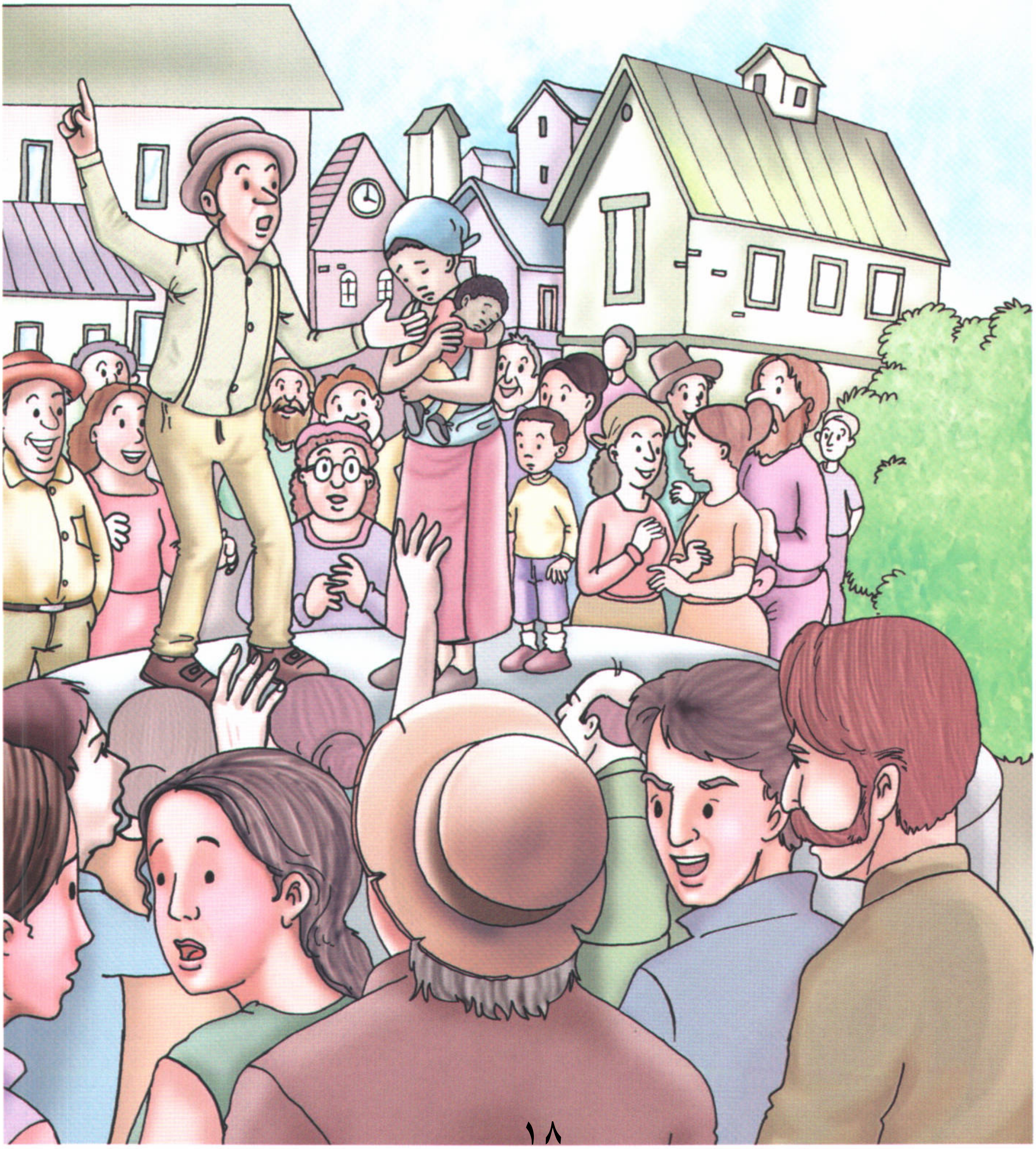


أمّا وَالِدُ (مارتن) فكَانَ كَاهِناً

فِي إِحْدَى كَنَائِسِ مَدِينَةِ (أتلانتا)، وَتُعَدُّ مِنْ أَكْثَرِ المُدُنِ

ازْدِحاماً فِي الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ، وَكَانَ يَرْفُضُ الخُضُوعَ لِلْأَمْرِيكِيِّينَ مِنْ ذَوِي البَشَرَةِ البَيْضَاءِ، الَّذِينَ كَانُوا يُعَامِلُونَ الأَمْرِيكِيِّينَ السُّودَ بِطَرِيقَةٍ مُهِينَةٍ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّ بَشَرَتَهُمْ دَاكِنَةٌ، وَشَاءَتِ الأَقْدَارُ أَنْ يَعْرِفَ (مارتن) كُلَّ ذَلِكَ حِينَمَا بَلَغَ الثَّامِنَةَ مِنْ عُمْرِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا ذَهَبَ بِصُحْبَةِ وَالِدِهِ لِشِرَاءِ حِذَاءٍ مِنْ أَحَدِ المَتَاجِرِ، وَهُنَاكَ جَلَسَ (مارتن) مَعَ وَالِدِهِ عَلَى مَقْعَدٍ أَمَامِيٍّ بِانْتِظَارِ العَامِلِينَ فِي المَتْجَرِ، فَجَاءَ أَحَدُ المُسْتَخْدَمِينَ، وَطَلَبَ مِنْهُمَا أَنْ يَذْهَبَا إِلَى القِسْمِ الخَلْفِيِّ مِنَ المَحَلِّ حَتَّى يَحْصُلَا عَلَى مَا يُرِيدَانِهِ؛ لِأَنَّ المَقَاعِدَ الأَمَامِيَّةَ كَانَتْ مُخَصَّصَةً لِلْأَمْرِيكِيِّينَ البِيضِ فَقَطْ، فَلَمَّا سَمِعَ وَالِدُهُ بِذَلِكَ اسْتَشَاطَ غَضَباً، وَرَفَضَ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْ ذَلِكَ المَحَلِّ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ عَرَفَ (مارتن) مَا تَعْنِيهِ كَلِمَةُ "زِنْجِيٍّ"، فَقَدْ كَانَتْ تَحْمِلُ مِنَ الإِهَانَةِ مَا يَكْفِي لِإِذْلَالِ الأَفَارِقَةِ الأَمْرِيكِيِّينَ أَجْمَعِينَ.



بَعْدَ تِلْكَ الحَادِثَةِ عَرَفَ (مارتن) أَنَّهُ لا يَحِقُّ لَهُ الجُلُوْسُ عَلَى المَقَاعِدِ الأَمَامِيَّةِ فِي أَيِّ حَافِلَةٍ، وَبِأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَدْرَسَةٍ مُخَصَّصَةٍ لِلسُّوْدِ وَمُنْفَصِلَةٍ عَنْ مَدَارِسِ البِيْضِ، كَمَا بَدَأَ يُدْرِكُ بِأَنَّهُ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الوُصُوْلِ إِلَى مَنْصِبٍ رَفِيْعٍ إِذَا حَصَلَ عَلَى وَظِيْفَةٍ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الأَفَارِقَةِ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الحِيْنِ قَطَعَ (مارتن) عَهْداً عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً مَا لِيُغَيِّرَ مِنْ ذَلِكَ الوَضْعِ التَّعِيْسِ عِنْدَمَا يَكْبَرُ، وَبِأَنَّهُ سَيُنَاضِلُ لِيَنَالَ الأَمْرِيْكِيُّوْنَ الأَفَارِقَةُ حُقُوْقَهُمْ وَحُرِّيَّتَهُمْ.

ثُمَّ عَرَفَ (مارتن) فِيْمَا بَعْدُ أَنَّ المُعَامَلَةَ الظَّالِمَةَ وَالاضْطِهَادَ وَالحِرْمَانَ مِنَ الحُرِّيَّةِ لَمْ يَطَلْ أَبْنَاءَ جِيْلِهِ فَقَطْ، بَلْ كَانَتْ تِلْكَ المُمَارَسَاتُ التَّمْيِيْزِيَّةُ بَيْنَ البَشَرِ عَلَى أَسَاسِ العِرْقِ قَدْ بَدَأَتْ مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ.

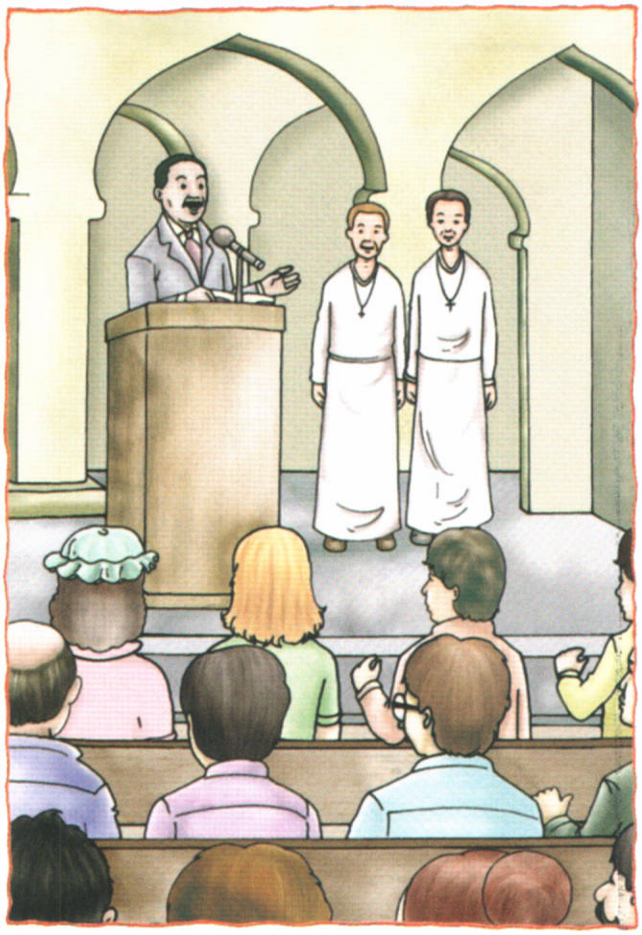
فَقَبْلَ أَنْ يُوْلَدَ (مارتن لوثر كينغ) بِثَلاثِ مِئَةِ عَامٍ وَصَلَتِ الدُّفْعَاتُ الأُوْلَى لِلْعَبِيْدِ مِنْ غَرْبِ أَفْرِيْقِيَا إِلَى أَمْرِيْكَا لِلْعَمَلِ فِي المُسْتَعْمَرَاتِ، وَالاهْتِمَام بِزِرَاعَةِ القُطْنِ وَقَصَبِ السُّكَّرِ وَالتَّبْغِ، حَيْثُ تَمَّ تَهْجِيْرُ هَؤُلَاءِ السُّوْدِ بِالقُوَّةِ رَغْماً عَنْهُمْ، فَكَانَ يَتِمُّ تَجْمِيْعُهُمْ كَالقُطْعَانِ فِي السُّفُنِ، ثُمَّ كَانُوا يُحْشَرُوْنَ فِي أَقْبِيَتِهَا القَذِرَةِ وَالمُظْلِمَةِ، لِيُعَانُوا مِنَ الجُوْعِ وَالمَرَضِ فِي مُعْظَمِ الأَوْقَاتِ، كَمَا كَانَ مَصِيْرُ بَعْضِهِمْ أَنْ يُلْقَى فِي عُرْضِ البَحْرِ، أَمَّا مَنْ يَصِلُ مِنْهُمْ إِلَى أَمْرِيْكَا، فَكَانَ يُصَفَّدُ بِالسَّلَاسِلِ وَالأَغْلَالِ، وَمِنْ ثَمَّ يُعْرَضُ لِلْبَيْعِ، فَيُقْبِلُ البِيْضُ عَلَى شِرَائِهِمْ، وَلَكِنْ قَبْلَ ذَلِكَ كَانُوا يُعَايِنُوْنَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ سِلَعٌ، وَهَكَذَا كَانَ أَفْرَادُ الأُسَرِ يَتَشَرَّدُوْنَ وَيَبْتَعِدُوْنَ عَنْ بَعْضِهِمْ خِلَالَ عَمَلِيَّاتِ البَيْعِ تِلْكَ، حَيْثُ كَانَ الابْنُ يُبَاعُ لِشَخْصٍ، بَيْنَمَا يُبَاعُ أَبُوْهُ لِشَخْصٍ آخَرَ، أَمَّا المُعَامَلَةُ الَّتِي يَتَلَقَّاهَا هَؤُلَاءِ العَبِيْدُ فَكَانَتْ قَاسِيَةً جِدّاً، وَكَثِيْراً مَا كَانَ السَّيِّدُ يَقْتُلُ العَبْدَ الَّذِي يَعْمَلُ لَدَيْهِ. وَلَكِنْ كَيْفَ يُمْكِنُ لِتِلْكَ المُمَارَسَاتِ الوَحْشِيَّةِ أَنْ تَسْتَمِرَّ؟

حِيْنَمَا انْتُخِبَ (أبراهام لينكولن) رَئِيْساً لِلْوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ حَرَّمَ العُبُوْدِيَّةَ، وَأَعْطَى السُّوْدَ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ الحَقَّ فِي الانْتِخَابِ.

إِلَّا أَنَّ الأَشْخَاصَ الَّذِيْنَ لَمْ تُعْجِبْهُمْ سِيَاسَاتُهُ كَانُوا كُثُراً، فَفِي الجَنُوْبِ كَانَ البِيْضُ مَا يَزَالُوْنَ يُحْكِمُوْنَ سَيْطَرَتَهُمْ عَلَى الأَفَارِقَةِ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ الَّذِيْنَ كَانُوا مَحْرُوْمِيْنَ مِنْ أَكْثَرِ حُقُوْقِهِمْ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ يَسْمَحُ لَهُمْ مَثَلاً بِالإِدْلَاءِ بِشَهَادَاتِهِمْ فِي المَحَاكِمِ إِذَا كَانَتِ الدَّعْوَى ضِدَّ أَيِّ أَبْيَضَ، وَبِذَلِكَ كَانَ البِيْضُ يَرْتَكِبُوْنَ الكَثِيْرَ مِنَ الجَرَائِمِ ضِدَّ الأَفَارِقَةِ لِتَمْضِيَ تِلْكَ الجَرَائِمُ بِلَا عُقُوْبَةٍ.

كَمَا لَمْ يَكُنْ يَسْمَحُ لِلسُّوْدِ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ بِالاخْتِلَاطِ مَعَ نُظَرَائِهِمُ البِيْضِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ لَهُمْ مَدَارِسُهُمُ الخَاصَّةُ وَأَحْيَاؤُهُمُ السَّكَنِيَّةُ المُنْفَصِلَةُ، وَكَانَ يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْتَلُوا ظَهْرَ الحَافِلَةِ أَوِ القِطَارِ عِنْدَ السَّفَرِ.

ثُمَّ ظَهَرَ تَنْظِيْمٌ سِرِّيٌّ فِي الجَنُوْبِ عُرِفَ بِاسْمِ (كوك لوكس كلان)، وَعَمِلَ هَذَا التَّنْظِيْمُ عَلَى زِيَادَةِ الوَضْعِ



سُوْءاً؛ وَذلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَهْدِفُ إِلَى نَشْرِ رِسَالَةٍ مُفَادُهَا أَنَّ الأَفَارِقَةَ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ هُمْ أَصْلُ الشُّرُوْرِ، وَقَدِ ارْتَكَبَ ذَلِكَ التَّنْظِيْمُ العَدِيْدَ مِنْ جَرَائِمِ القَتْلِ وَالتَّعْذِيْبِ بِحَقِّ السُّوْدِ.

بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ بَدَأَ السُّوْدُ يَتَقَبَّلُوْنَ تِلْكَ المُعَامَلَةَ الَّتِي تُجَرِّدُهُمْ مِنْ حُرِّيَّاتِهِمْ، كَمَا بَاتُوا مُقْتَنِعِيْنَ بِفِكْرَةِ أَنَّهُمْ يَنْتَمُوْنَ إِلَى مَرْتَبَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ أَدْنَى، إِلَّا أَنَّ (مارتن) لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْنِ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَنْسَى كَلَامَ وَالِدَتِهِ حِيْنَمَا كَانَتْ تُشَجِّعُهُ، وَتُخْبِرُهُ بِأَنَّهُ إِنْسَانٌ طَيِّبٌ كَالآخَرِيْنَ.

لِذَا قَرَّرَ (مارتن) أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الشَّمَالِ حَيْثُ تَخِفُّ وَطْأَةُ المُشْكِلَةِ العِرْقِيَّةِ قَلِيْلاً، فَرَغْمَ المُعَامَلَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي كَانَ الأَفَارِقَةُ يُعَانُوْنَ مِنْهَا هُنَاكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَفْرُوْضاً عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَنَاوَلُوا طَعَامَهُمْ فِي أَمَاكِنَ مُخَصَّصَةٍ، أَوْ أَنْ يُسَافِرُوا فِي مَرْكَبَاتٍ مُسْتَقِلَّةٍ عَنْ مَرْكَبَاتِ البِيْضِ.

وَلَقَدْ كَانَ (مارتن) يَهْوَى قِرَاءَةَ الكُتُبِ مُنْذُ نُعُوْمَةِ أَظْفَارِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَطْمَحُ لِأَنْ يُصْبِحَ وَاعِظاً كَمَا كَانَ وَالِدُهُ، عَلَى أَنَّهُ بَدَأَ يُدْرِكُ مَدَى قُوَّةِ الكَلِمَةِ عَاماً بَعْدَ عَامٍ، وَأَصْبَحَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيْرِ وَاقِعِ الأَفَارِقَةِ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ فِي حَالِ أَصْبَحَ وَاعِظاً لَهُمْ، لِذَا أَلْقَى أَوَّلَ خُطْبَةٍ لَهُ فِي كَنِيْسَةِ وَالِدِهِ عِنْدَمَا كَانَ فِي السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنَ العُمْرِ، وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الخُطْبَةُ مِنْ أَرْوَعِ الخُطَبِ وَأَنْجَحِهَا وَقْتَئِذٍ.

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الكُتُبِ وَالأَفْكَارِ وَالأَشْخَاصِ الكَثِيْرِيْنَ الَّذِيْنَ تَأَثَّرَ بِهِمْ (مارتن) شَخْصَانِ تَرَكَا فِيْهِ عَظِيْمَ الأَثَرِ، وَهُمَا (والتر روشينبوش) الَّذِي كَانَ يَظُنُّ أَنَّ مَسْؤُوْلِيَّةَ المُتَدَيِّنِيْنَ لَا تَنْحَصِرُ فَقَطْ فِي تَهْذِيْبِ النُّفُوْسِ، بَلْ فِي تَحْسِيْنِ حَيَاةِ المَرْءِ وَإِسْعَادِهِ أَيْضاً، أَمَّا الشَّخْصُ الآخَرُ فَكَانَ الزَّعِيْمَ الهِنْدِيَّ العَظِيْمَ (موهنداس كارامتشاند غاندي) الَّذِي سَاهَمَ فِي تَحْرِيْرِ الهُنُوْدِ مِنَ الاحْتِلَالِ البَرِيْطَانِيِّ دُوْنَ اللُّجُوْءِ إِلَى أَيِّ تَصَرُّفٍ أَوْ قَوْلٍ يَحْمِلُ غِلْظَةً أَوْ عُنْفاً، فَقَدْ كَانَ (غاندي) يَحْتَرِمُ السَّلَامَ كَالمَسِيْحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِذَا فَقَدْ قَرَّرَ (مارتن) اسْتِخْدَامَ أُسْلُوْبٍ لَا عُنْفَ فِيْهِ أَيْضاً، إِذَا وَاجَهَ مُمَارَسَةً فِيْهَا ظُلْمٌ وَإِجْحَافٌ.

وَقَدْ حَدَثَ فِي أَحَدِ أَيَّامِ شَهْرِ كَانُوْنَ الأَوَّلِ مِنْ عَامِ ١٩٥٥، فِي مَدِيْنَةِ (مونتيغومري) تَحْدِيْداً، أَنْ رَكِبَتْ سَيِّدَةٌ عَجُوْزٌ مِنْ أُصُوْلٍ أَفْرِيْقِيَّةٍ اسْمُهَا (روزا باركس) الحَافِلَةَ بَعْدَ يَوْمِ عَمَلٍ شَاقٍّ،

فطلَبَ مِنْهَا سَائِقُ الحافِلَةِ أَنْ تَتْرُكَ مَقْعَدَهَا لِأَحَدِ الرُّكَّابِ مِنَ البِيْضِ، فَرَفَضَتِ العَجُوْزُ بِهُدُوْءٍ، فَمَا كَانَ مِنَ السَّائِقِ إِلَّا أَنْ اِسْتَدْعَى رِجَالَ الشُّرْطَةِ الَّذِيْنَ اِعْتَقَلُوا تِلْكَ العَجُوْزَ.

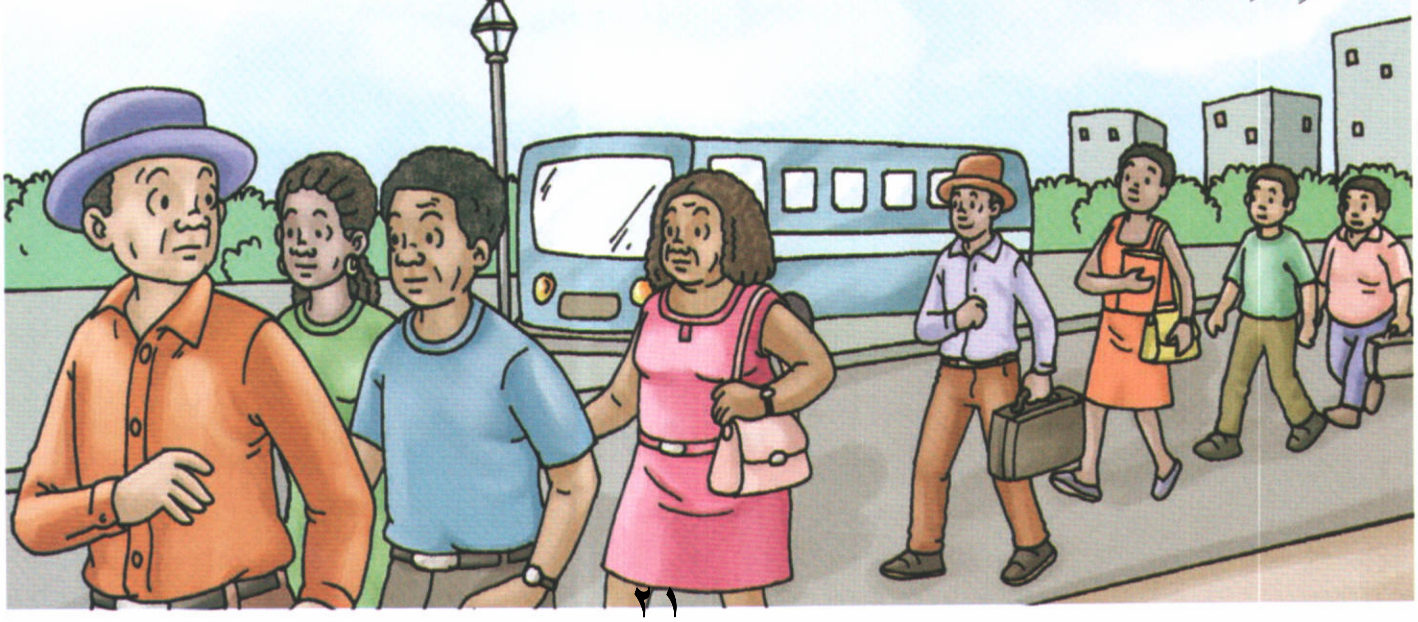
وَقَدْ تَسَبَّبَتْ تِلْكَ الحَادِثَةُ بِظُهُوْرِ مَوْجَةٍ اِحْتِجَاجِيَّةٍ كَبِيْرَةٍ بِسَبَبِ اِعْتِقَالِ تِلْكَ المَرْأَةِ، شَارَكَ فِيْهَا البِيْضُ وَالسُّوْدُ مَعاً، مِمَّنْ كَانُوا يُنَاضِلُوْنَ لِلْحُصُوْلِ عَلَى حُقُوْقِهِمْ، وَيَسْعَوْنَ لِتَحْقِيْقِ العَدَالَةِ وَالمُسَاوَاةِ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيْعاً.

وَقَدْ تَرَأَّسَ (مارتن) الاِجْتِمَاعَ الَّذِي قَرَّرَ فِيْهِ وُجُوْبَ مُقَاطَعَةِ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ الأَفَارِقَةِ لِلْحَافِلَاتِ، وَذَلِكَ بِرَفْضِ الرُّكُوْبِ فِيْهَا، حَيْثُ طَلَبَ مِنَ الأَفَارِقَةِ جَمِيْعاً رُكُوْبَ سَيَّارَاتِ الأُجْرَةِ وَالتَّشَارُكَ فِي دَفْعِ أُجُوْرِهَا، أَوِ السَّيْرَ مَشْياً عَلَى الأَقْدَامِ، عَلَى أَنْ تَتِمَّ مُقَاطَعَةُ الحَافِلَاتِ كُلِّهَا نِهَائِيّاً، فَاسْتَجَابُوْا جَمِيْعاً لِدَعْوَتِهِ، كَمَا سَاهَمَ سَائِقُوْ سَيَّارَاتِ الأُجْرَةِ مِنَ السُّوْدِ فِي عَمَلِيَّةِ المُقَاطَعَةِ تِلْكَ، وَذَلِكَ حِيْنَمَا سَاعَدُوا فِي نَقْلِ الأَفْرَادِ إِلَى مَكَانِ العَمَلِ دُوْنَ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أُجْرَةِ الرُّكُوْبِ فِي الحَافِلَةِ.

وَقَدْ أَصْبَحَ (مارتن) هَدَفاً مُبَاشَراً لِلاِنْتِقَادِ وَالتَّجْرِيْحِ، لِأَنَّهُ كَانَ زَعِيْمَ هَذِهِ الحَمْلَةِ المُعَارِضَةِ، حَيْثُ تَلَقَّى مُكَالَمَاتٍ هَاتِفِيَّةً كَثِيْرَةً هُدِّدَ فِيْهَا إِذَا اِسْتَمَرَّ فِي حَرَكَاتِهِ الاِحْتِجَاجِيَّةِ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ تِلْكَ التَّهْدِيْدَاتُ مَصْدَرَ خَطَرٍ عَلَى حَيَاتِهِ، حَيْثُ تَمَّ تَفْجِيْرُ مَنْزِلِهِ فِي إِحْدَى المَرَّاتِ رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ فِي الخَارِجِ، إِلَّا أَنَّ زَوْجَهُ (كوريتا)، وَطِفْلَهُ خَرَجَا سَالِمَيْنِ مِنَ البَيْتِ.

وَلَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الحَادِثَةُ حَافِزاً لِلسُّوْدِ عَلَى رَفْعِ السِّلَاحِ، وَالتَّحَوُّلِ إِلَى الأُسْلُوْبِ العُنْفِيِّ، إِلَّا أَنَّ (مارتن) ذَكَّرَهُمْ بِالمَقُوْلَةِ الَّتِي جَاءَ فِيْهَا: إِنَّ مَنْ يَحْيَا بِالسَّيْفِ لَابُدَّ أَنْ يَمُوْتَ بِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَلَّا يَلْجَؤُوا إِلَى العُنْفِ فِي نِضَالِهِمْ لِنَيْلِ حُرِّيَّتِهِمْ.

وَمَعَ أَنَّ عَمَلِيَّةَ مُقَاطَعَةِ الحَافِلَاتِ نَجَحَتْ نَجَاحاً مُنْقَطِعَ النَّظِيْرِ، إِلَّا أَنَّ (مارتن) ظَلَّ يَشُكُّ فِي قُدْرَةِ النَّاسِ عَلَى مُوَاصَلَةِ المُقَاطَعَةِ خِلَالَ أَيَّامِ الثَّلْجِ وَالبَرْدِ؛ لِأَنَّ فَصْلَ الشِّتَاءِ بَاتَ وَشِيْكاً، وَمِمَّا زَادَ الطِّيْنَ بِلَّةً عُثُوْرُ البِيْضِ مِنَ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ عَلَى قَانُوْنٍ قَدِيْمٍ يَقْضِي بِمَنْعِ عَمَلِيَّاتِ المُقَاطَعَةِ وَتَجْرِيْمِهَا، لِذَا فَقَدْ تَمَّ تَغْرِيْمُ (مارتن) بِخَمْسِ مِئَةِ دُوْلَارٍ أَمْرِيْكِيٍّ لِاِنْتِهَاكِهِ ذَلِكَ القَانُوْنَ.





كَما تَمَّ مَنْعُ نِظامِ المُشارَكَةِ في دَفْعِ أُجُوْرِ سَيَّاراتِ الأُجْرَةِ، وَبِذلِكَ تَبَدَّدَ كُلُّ أَمَلٍ في التَّوَصُّلِ إِلَى نَتِيْجَةٍ.

إِلَّا أَنَّ اللهَ جَلَّ في عُلاهُ لا بُدَّ أَنْ يَنْصُرَ عِبادَهُ المَظْلُوْمِيْنَ، وَتَجَلَّى ذَلِكَ في قَرارِ المَحْكَمَةِ العُلْيا في (واشنطن)، القَاضِي بِإِعْلانِ أَنَّ عَمَلِيَّةَ فَصْلِ المَقاعِدِ المُخَصَّصَةِ لِلْمُلَوَّنِيْنَ في الحافِلاتِ يُعَدُّ أَمْراً مُنافِياً لِلْقَوانِيْنِ الأَمْرِيْكِيَّةِ، وَبِهَذا حَقَّقَ (مارتن) وَرِفاقُهُ مَكْسَباً في هَذا السِّياقِ، وَعَلَيْهِ فَقَدْ دَعا (مارتن) إِلَى التَّوَقُّفِ عَنِ المُقاطَعَةِ بَعْدَ مُرُوْرِ ما يَزِيْدُ عَلَى السَّنَةِ عَلَى بَدْئِها، لَكِنَّ هَذا لَمْ يَكُنْ يَعْنِي التَّوَقُّفَ عَنْ مُواصَلَةِ النِّضالِ.

وَهَكَذا اسْتَمَرَّ (مارتن) بِإِلْقاءِ الخُطَبِ وَالمُحاضَراتِ الَّتِي حاوَلَ مِنْ خِلالِها تَحْرِيْرَ عُقُوْلِ السُّوْدِ وَالبِيْضِ مَعاً؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ البِيْضَ كانُوا يَرَوْنَ أَنَّ السُّوْدَ أَدْنَى مَنْزِلَةً مِنْهُمْ، وَلِهَذا فَقَدْ كَتَبَ (مارتن) كِتابَهُ الأَوَّلَ الَّذي حَمَلَ عُنْوانَ: (خُطْوَةٌ واسِعَةٌ نَحْوَ الحُرِّيَّةِ).

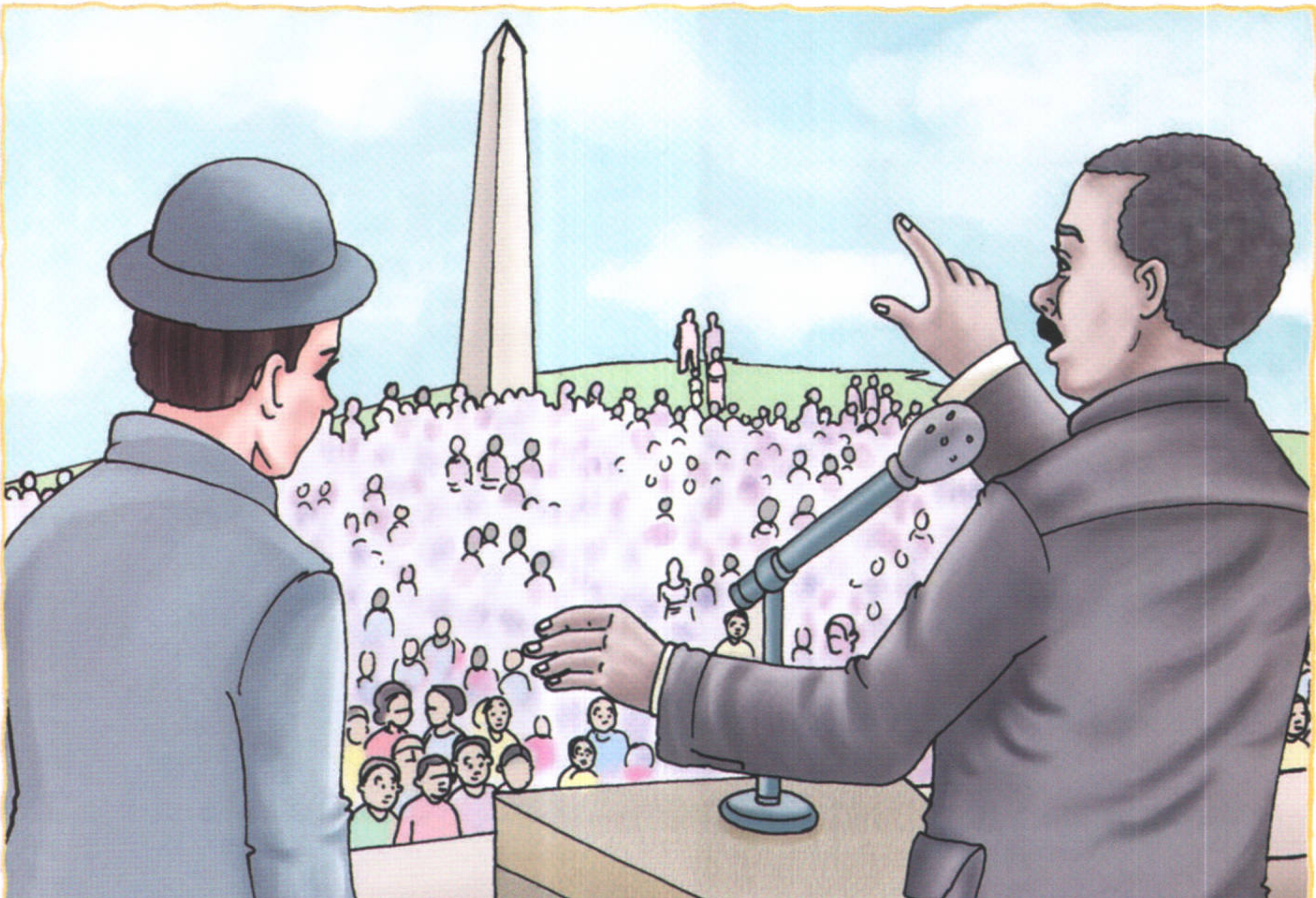
كَما أَسَّسَ مَجْمُوْعاتٍ مُتَعَدِّدَةً لِمُناصَرَةِ قَضِيَّةِ الحُرِّيَّةِ، إِضافَةً إِلَى الاجْتِماعاتِ المُنْتَظِمَةِ الَّتِي كانَ يَعْقِدُها، وَالَّتِي أَوْدَتْ بِهِ إِلَى السِّجْنِ سَرِيْعاً.

وَعِنْدَما كانَ (جون ف. كينيدي) يَخُوْضُ مَعْرَكَتَهُ الانْتِخابِيَّةَ لِلْوُصُوْلِ إِلَى البَيْتِ الأَبْيَضِ أَطْلَقَ سَراحَهُ عَلَى سَبِيْلِ الدِّعايَةِ الإِعْلامِيَّةِ.

وَبَعْدَ خُرُوْجِ (مارتن) مِنَ السِّجْنِ عاوَدَ احْتِجاجاتِهِ وَنَشاطَهُ، وَمَعَ أَنَّهُ طَلَبَ مِنْ أَنْصارِهِ مُتابَعَةَ النِّضالِ

مِنْ أَجْلِ الحُرِّيَةِ، إِلَّا أَنَّهُ أَخَذَ عَلَيْهِمْ عَهْداً أَلَّا يَلْجَؤُوْا إِلَى العُنْفِ خِلَالَ مَسِيْرَةِ كِفَاحِهِمْ، غَيْرَ أَنَّ رِجَالَ الشُّرْطَةِ كَانُوا وَحْشِيِّيْنَ جِدّاً، فَكَانُوْا يَهْجُمُوْنَ عَلَى المُتَظَاهِرِيْنَ بِالعِصِيِّ، وَيُطْلِقُوْنَ عَلَيْهِمُ الكِلَابَ البُوْلِيْسِيَّةَ، وَهَكَذَا تَسَبَّبَتْ تِلْكَ الاِحْتِجَاجَاتُ السِّلْمِيَّةُ بِسَجْنِ الكَثِيْرِ مِنَ السُّوْدِ، فَكَانُوا جَمِيْعاً يُغَنُّوْنَ فِي سِجْنِهِمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ أُغْنِيَّةَ "سَنَنْتَصِرُ"، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَتِ الزَّنَازِيْنُ تَعُجُّ بِالسُّوْدِ، كَمَا بَدَأَتِ الصُّحُفُ تَعْرِضُ صُوَراً تُظْهِرُ وَحْشِيَّةَ رِجَالِ الشُّرْطَةِ بِالتَّعَامُلِ مَعَ السُّوْدِ، وَبِذَلِكَ كَسِبَ الأَفَارِقَةُ تَعَاطُفَ النَّاسِ مَعَهُمْ.

بَعْدَ ذَلِكَ تَجَلَّتِ المَرْحَلَةُ الأَصْعَبُ لِلْبِيْضِ بِعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى كَبْحِ جِمَاحِ تِلْكَ الحَرَكَةِ الاِحْتِجَاجِيَّةِ بِالقُوَّةِ، وَذَلِكَ بِامْتِنَاعِ السُّوْدِ عَنِ اسْتِخْدَامِ العُنْفِ، وَهُنَا بَدَأَ الرَّئِيْسُ (كيندي) -الَّذِي اسْتَمَعَ إِلَى مَطَالِبِ السُّوْدِ وَمُشْكِلَاتِهِمْ، وَتَعَاطَفَ مَعَهُمْ- يُدَافِعُ عَنْ حُقُوْقِهِمْ، فَكَانَ أَوَّلَ رَئِيْسٍ أَمْرِيْكِيٍّ يُدِيْنُ سِيَاسَةَ الفَصْلِ العُنْصُرِيِّ، وَيُطَالِبُ البِيْضَ الأَمْرِيْكِيِّيْنَ بِمُعَامَلَةِ نُظَرَائِهِمُ السُّوْدِ مُعَامَلَةً عَادِلَةً وَمُنْصِفَةً.



وَفي الخامِسِ وَالعِشْرِيْنَ مِنْ شَهْرِ آب لِعَام ١٩٦٣ جمَعَ القَسُّ (مارتن لوثر كينغ) مِئَتَيْنِ وَخَمْسِيْنَ أَلْفَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْ مُخْتَلِفِ أَنْحاءِ أَمْرِيْكا، كانَ رُبُعُهُمْ مِنَ البِيْضِ، فاحْتَشَدُوْا جَميْعاً أَمامَ النُّصُبِ التَّذْكارِيِّ لِلرَّئِيْسِ (لنكولن) الَّذي أُقِيْمَ في (واشنطن)، وَحِيْنَما نَهَضَ (مارتن) لِيَخْطُبَ بِهِمْ، سادَ صَمْتٌ مُطْبِقٌ بَيْنَ الحاضِرِيْنَ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوْسِهِمُ الطَّيْرَ.

وَهُنا بَدَأَ (مارتن) خُطْبَتَهُ الشَّهِيْرَةَ قائِلاً: "لَقَدْ مَضَى مِئَةُ عامٍ عَلَى تَحْرِيْرِ الرَّئِيْسِ (لنكولن) العَبِيْدَ الَّذِيْنَ لَمْ يَتَمَتَّعْ حُفَدَاؤُهُمْ بَعْدُ بِالحُرِّيَّةِ الحَقِيْقِيَّةِ، بَيْدَ أَنَّنِي أَحْلُمُ بِأَنْ يَقِفَ أَبْناءُ العَبِيْدِ القُدامَى مَعَ أَبْناءِ أَسْيادِهِمُ القُدامَى يَوْماً ما عَلَى صَعِيْدِ تِلالِ (جورجيا) وَجِبالِها، وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعاً إِلَى طاوِلَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَهُمْ كَأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ وَأَصْدِقاءُ.



إِنَّنِي أَحْلُمُ بِأَنْ يَعِيْشَ أَوْلادِي الأَرْبَعَةُ الصِّغارُ يَوْماً ما ضِمْنَ شَعْبٍ لا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالنَّظَرِ إِلَى لَوْنِ بَشَرَتِهِمْ، بَلْ وَفْقاً لِشَخْصِيَّاتِهِمْ... بِيْئَةٌ يُمْكِنُ لِلصِّبْيانِ السُّوْدِ أَنْ يُمْسِكُوا بِأَيْدِي نُظَرائِهِمُ البِيْضِ لِيَسِيْرُوا مَعاً إِخْوَةً لا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ، وَلِيُغَنُّوا مَعاً كَلِماتِ الأُنْشُوْدَةِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي كانَ الزُّنُوْجُ يُغَنُّوْنَها، وَتَقُوْلُ: "لَقَدْ تَحَرَّرْنا يا إِلَهِي العَظِيْمَ، لَقَدْ تَحَرَّرْنا أَخِيْراً!".

وَحِيْنَما فَرَغَ (مارتن) مِنْ إِلْقاءِ كَلِمَتِهِ، سادَتْ لَحْظَةٌ مِنَ الصَّمْتِ تَبِعَها صُراخٌ هادِرٌ هَتَفَتْ بِهِ حَناجِرُ مِئَتَيْنِ وَخَمْسِيْنَ أَلْفِ شَخْصٍ دُفْعَةً واحِدَةً، وَهُمْ يُرَدِّدُوْنَ: "لَقَدْ تَحَرَّرْنا يا إِلَهِي العَظِيْمَ، لَقَدْ تَحَرَّرْنا أَخِيْراً!"، كَما انْهارَ بَعْضُهُمْ، فِيْما عَبَّرَ البَعْضُ الآخَرُ عَنْ شُكْرِهِ وَعِرْفانِهِ لِما تَقَدَّمَ بِهِ (مارتن) مِنْ أَجْلِهِمْ جَمِيْعاً؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ شَعَرُوا بِأَنَّهُمْ قَدْ حَقَّقُوا مَكْسَباً عَظِيْماً.

وَفي العامِ ذاتِهِ اغْتِيْلَ الرَّئِيْسُ (كيندي)، وَحِيْنَما جَلَسَ (مارتن) في عَزاءِ الرَّئِيْسِ بَيْنَ مُلُوْكِ الدُّوَلِ وَرُؤَسائِها، هَمَسَ في أُذُنِ زَوْجِهِ قائِلاً: "أَخْشَى أَنْ يُصِيْبَنِي ما أَصابَ هَذا الرَّئِيْسَ".

وَفي عامِ ١٩٦٤ حَصَلَ (مارتن لوثر كينغ) عَلَى جائِزَةِ (نوبِل) لِلسَّلامِ، وَذَلِكَ لِنِضالِهِ مِنْ أَجْلِ حُقُوْقِ السُّوْدِ، وَإِصْرارِهِ عَلَى الابْتِعادِ عَنِ العُنْفِ.

وَلَكِنْ في الثَّالِثِ مِنْ شَهْرِ نَيْسانَ مِنَ العامِ ١٩٦٨ حَدَثَ لِـ(مارتن) ما سَبَقَ أَنْ تَوَقَّعَهُ، وَذَلِكَ عِنْدَما أَطْلَقَ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَبْيَضُ النَّارَ، فَأَرْداهُ قَتِيْلاً، رَحِمَ اللهُ (مارتن لوثر كينغ) الَّذي كانَ نَصِيْرَ المَظْلُوْمِيْنَ.

تِمْثَالُ الحُرِّيَّةِ

فِي وَسَطِ جَزِيْرَةِ الحُرِّيَّةِ بِمَدِيْنَةِ (نيويورك) يَنْتَصِبُ تِمْثَالٌ مَهِيْبٌ لِامْرَأَةٍ تَرْتَدِي ثَوْباً، وَتَرْفَعُ بِيَدِهَا شُعْلَةً مُتَوَهِّجَةً عَالِياً، ذَلِكَ هُوَ تِمْثَالُ الحُرِّيَّةِ الشَّهِيْرُ، أَمَّا التَّسْمِيَةُ الكَامِلَةُ لَهُ فَهِيَ: الحُرِّيَّةُ تُنِيْرُ دَرْبَ العَالَمِ، وَيُعَدُّ هَذَا التِّمْثَالُ النُّحَاسِيُّ مِنْ أَكْبَرِ التَّمَاثِيْلِ فِي العَالَمِ، وَمِنْ أَشْهَرِ المَعَالِمِ السِّيَاحِيَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةَ الأَمْرِيْكِيَّةَ.

بَدَأَتْ قِصَّةُ هَذَا التِّمْثَالِ مَعَ إِهْدَاءِ الشَّعْبِ الفَرَنْسِيِّ تِمْثَالَ الحُرِّيَّةِ إِلَى حُكُوْمَةِ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ عَامَ ١٨٨٤ عُرْبُوْنَ صَدَاقَةٍ بَيْنَ البَلَدَيْنِ، وَتَعْبِيْراً عَنْ تَشَارُكِهِمَا الإِيْمَانَ بِمَبْدَأِ الحُرِّيَّةِ، حَيْثُ صَمَّمَ النَّحَّاتُ الفَرَنْسِيُّ (فريدريك أوغست بارتولدي) التِّمْثَالَ، وَاخْتَارَ مَوْقِعَهُ.

ثُمَّ أَصْبَحَ تِمْثَالُ الحُرِّيَّةِ رَمْزاً لِتَحَرُّرِ الشُّعُوْبِ فِي مُخْتَلِفِ أَصْقَاعِ العَالَمِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ سَلَاسِلَ العُبُوْدِيَّةِ قَدْ تُرِكَتْ مُحَطَّمَةً عِنْدَ قَدَمَي المَرْأَةِ الَّتِي يُجَسِّدُهَا ذَلِكَ التِّمْثَالُ، وَتَرْمِزُ تِلْكَ القُيُوْدُ وَالسَّلَاسِلُ إِلَى القَوَانِيْنِ المُجْحِفَةِ، فِي حِيْنِ يُشِيْرُ كَسْرُهَا إِلَى تَخَلُّصِ أَمْرِيْكَا مِنْ سَيْطَرَةِ القُوَى الخَارِجِيَّةِ.



هَذَا، وَيَظْهَرُ تَاجٌ بِسَبْعَةِ رُؤُوْسٍ عَلَى رَأْسِ التِّمْثَالِ، بِحَيْثُ يَرْمِزُ كُلُّ رَأْسٍ مِنْ تِلْكَ الرُّمُوْزِ إِلَى الحُرِّيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ تُنِيْرُ البُحُوْرَ وَالقَارَّاتِ السَّبْعَ، بَيْنَمَا تَحْمِلُ تِلْكَ المَرْأَةُ الَّتِي يُجَسِّدُهَا التِّمْثَالُ لَوْحاً فِي يَدِهَا اليُسْرَى نُقِشَ عَلَيْهِ تَارِيْخُ إِعْلَانِ الاسْتِقْلَالِ الأَمْرِيْكِيِّ الَّذِي يُصَادِفُ الرَّابِعَ مِنْ شَهْرِ تَمُّوْزَ مِنَ العَامِ ١٧٧٦.

وَمُنْذُ سِنِيْنَ طَوِيْلَةٍ، وَمَلَايِيْنُ البَشَرِ مِنْ مُخْتَلِفِ الدُّوَلِ يَطْمَحُوْنَ لِلْعَيْشِ فِي الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيْكِيَّةِ، وَلَا يَزَالُ الكَثِيْرُوْنَ يَحْلُمُوْنَ بِذَلِكَ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ أَصْبَحَتْ رَمْزاً لِلْحُرِّيَّةِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ المُهَاجِرِيْنَ الَّذِيْنَ غَادَرُوا أَوْطَانَهُمْ، فِيْمَا قَدْ تُشِيْرُ إِلَى التَّحَرُّرِ مِنَ الفَقْرِ عِنْدَ آخَرِيْنَ، أَوْ حُرِّيَّةِ الفِكْرِ أَوِ المُعْتَقَدِ الدِّيْنِيِّ حَسَبَ بَعْضِهِمْ.

وَحِيْنَمَا يَصِلُ هَؤُلَاءِ المُهَاجِرُوْنَ إِلَى الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ، لَابُدَّ لَهُمْ أَنْ يَمُرُّوا بِجَزِيْرَةِ الحُرِّيَّةِ الَّتِي يَنْتَصِبُ فِيْهَا تِمْثَالُ الحُرِّيَّةِ.

وَهكَذا يَبْدو لَهُمُ التِّمْثالُ إشارَةَ تَرْحيبٍ بَليغَةً تَعِدُهُم بِالحُرِّيَّةِ، وَتُوَفِّرُ لَهُمُ الفُرَصَ الَّتي يَحْلُمونَ بِها.

كانَتْ جَزيرَةُ الحُرِّيَّةِ تُعْرَفُ بِجَزيرَةِ (بيدلو) خِلالَ القَرْنِ السّابعَ عَشَرَ؛ وَذلِكَ لِأَنَّ الشَّخْصَ الَّذي كانَ يَمْلِكُها كانَ يُعْرَفُ بِـ(إسحق بيدلو)، وَلكِنْ في عامِ ١٩٥٦ تَغَيَّرَ اسْمُها لِيُصْبِحَ (جَزيرَةَ الحُرِّيَّةِ).

وَلَقَدْ بُنِيَتْ قاعِدَةُ التِّمْثالِ، أَوْ ما يُعْرَفُ بِمَنَصَّتِهِ داخِلَ جُدْرانِ أَحَدِ الحُصونِ الَّتي تَمَّ تَشْييدُها لِلدِّفاعِ عَنْ مَدينَةِ (نيويورك)، وَصَدِّ الهَجَماتِ الآتِيَةِ مِنَ البَحْرِ، إِلّا أَنَّ ذلِكَ الحِصْنَ كانَ عَلى شَكْلِ النَّجْمِ.

أَمّا قاعِدَةُ التِّمْثالِ فَهِيَ كُتْلَةٌ كَبيرَةٌ مِنَ الإِسْمِنْتِ الَّذي تَمَّ تَشْكيلُهُ كَقُضْبانٍ مَتينَةٍ مِنَ الفولاذِ مَكْسُوَّةٍ بِالغرانيت، وَيَبْلُغُ طولُ تِلْكَ القاعِدَةِ سَبْعَةً وَأَرْبَعينَ مِتْراً، وَلِهذا تَمَّ تَزْويدُها بِسَلالِمَ، وَمِصْعَدٍ لِلزُّوّارِ مِنَ الدّاخِلِ بِما يَسْمَحُ لَهُمْ بِالوُصولِ إِلى التّاجِ المَوْجودِ عَلى رَأْسِهِ.

أَمّا التِّمْثالُ فَيَبْلُغُ طولُهُ سِتَّةً وَأَرْبَعينَ مِتْراً، وَذلِكَ ابْتِداءً مِنْ رَأْسِ الشُّعْلَةِ وَانْتِهاءً بِقَدَمَيِ التِّمْثالِ، وَقَدْ تَمَّتْ تَغْطِيَةُ جِسْمِ التِّمْثالِ بِثَلاثِ مِئَةِ طَبَقَةٍ مِنَ النُّحاسِ تَمَّ تَثْبيتُ بَعْضِها فَوْقَ بَعْضٍ بِوَساطَةِ مَساميرَ.

وَقَدْ صَمَّمَ المُهَنْدِسُ الفَرَنْسِيُّ (ألكسندر غوستاف إيفل) الهَيْكَلَ الدّاعِمَ لِطَبَقَةِ النُّحاسِ، وَهُوَ المُهَنْدِسُ ذاتُهُ الَّذي صَمَّمَ بُرْجَ (إيفل) الشَّهيرَ في باريسَ خِلالَ فَتْرَةٍ لاحِقَةٍ.

كانَ تَصْميمُ المُهَنْدِسِ (إيفل) مَتيناً وَمَرِناً؛ وَذلِكَ لِأَنَّهُ يُمْكِنُ لِطَبَقَةِ النُّحاسِ أَنْ تَتَحَرَّكَ بِفِعْلِ الرِّياحِ، وَأَنْ تَتَفاعَلَ مَعَ العَوامِلِ الجَوِّيَّةِ دونَ أَنْ يُصابَ هَيْكَلُ التِّمْثالِ بِأَيِّ أَذىً.

هذا، وَتَلْتَفُّ السَّلالِمُ حَلَزونِيَّةَ الشَّكْلِ، وَتَضُمُّ مِئَةً وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعينَ دَرَجَةً داخِلَ التِّمْثالِ وُصولاً إِلى قِمَّتِهِ، بَيْنَما يَصِلُ المِصْعَدُ بَيْنَ قاعِدَةِ التِّمْثالِ وَكَتِفِهِ، وَيَشْتَمِلُ تاجُ التِّمْثالِ عَلى مَنَصَّةٍ تَضُمُّ خَمْساً وَعِشْرينَ نافِذَةً، وَذلِكَ لِيَسْتَمْتِعَ الزُّوّارُ بِذلِكَ الإِحْساسِ الرّائِعِ حينَما يَنْظُرونَ إِلى الأَسْفَلِ، وَإِلى كُلِّ ما يُحيطُ بِهِمْ مِنْ هذا العُلُوِّ الشّاهِقِ.

وَتَرْتَفِعُ الشُّعْلَةُ الَّتي يَحْمِلُها التِّمْثالُ ثَلاثَةً وَتِسْعينَ مِتْراً تَقْريباً فَوْقَ قاعِدَةِ التِّمْثالِ، في حينِ تَعْمَلُ الأَضْواءُ الَّتي تَعْكِسُها سِتَّةَ عَشَرَ مِصْباحاً شَديدَ السُّطوعِ، تَمَّ تَرْكيبُها حَوْلَ حافَةِ الشُّعْلَةِ، عَلى جَعْلِ تِلْكَ الشُّعْلَةِ المَطْلِيَّةِ بِاللَّوْنِ الذَّهَبِيِّ تَتَوَهَّجُ لَيْلاً، بَيْنَما تُسَلِّطُ مَصابيحُ وُضِعَتْ في الأَسْفَلِ أَضْواءَها عَلى ما تَبَقّى مِنَ التِّمْثالِ.

وَقَدْ بَدَأَ العَمَلُ في بِناءِ التِّمْثالِ عامَ ١٨٧٥، ضِمْنَ وَرْشَةٍ خُصِّصَتْ لِذلِكَ في مَدينَةِ (باريس)، وَبَعْدَ انْتِهاءِ العَمَلِ تَمَّ تَقْديمُ التِّمْثالِ لِسَفيرِ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْريكِيَّةِ في (فرنسا)، وَذلِكَ في الرّابِعِ مِنْ شَهْرِ تَمّوزَ عامَ ١٨٨٤ في مَدينَةِ (باريس) بَعْدَ مُرورِ تِسْعِ سَنَواتٍ عَلى البَدْءِ بِإِنْشائِهِ، بَعْدَ ذلِكَ تَمَّ تَفْكيكُ التِّمْثالِ وَشَحْنُهُ داخِلَ مِئَتَيْنِ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ صُنْدوقاً خَشَبِيّاً، لِيَتِمَّ بَعْدَ ذلِكَ نَقْلُهُ في سَفينَةٍ إِلى الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْريكِيَّةِ.

لَعَلَّ مُعْظَمَكُمْ سَبَقَ لَهُ أَنْ شاهَدَ تِمْثالَ الحُرِّيَّةِ، لِذا أَنْصَحُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُشاهِدْهُ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ ذلِكَ؛ لِأَنَّهُ مَعْلَمٌ سِياحِيٌّ مُهِمٌّ، فَإِذا زُرْتُمْ مَدينَةَ (نيويورك) فَلا تَبْخَلوا عَلى أَنْفُسِكُمْ بِالمُرورِ بِرَمْزِ الحُرِّيَّةِ الرّائِعِ.

قِصَّةُ الفَتَاةِ وَالفَارِسِ مَعَ الشَّلَّالِ

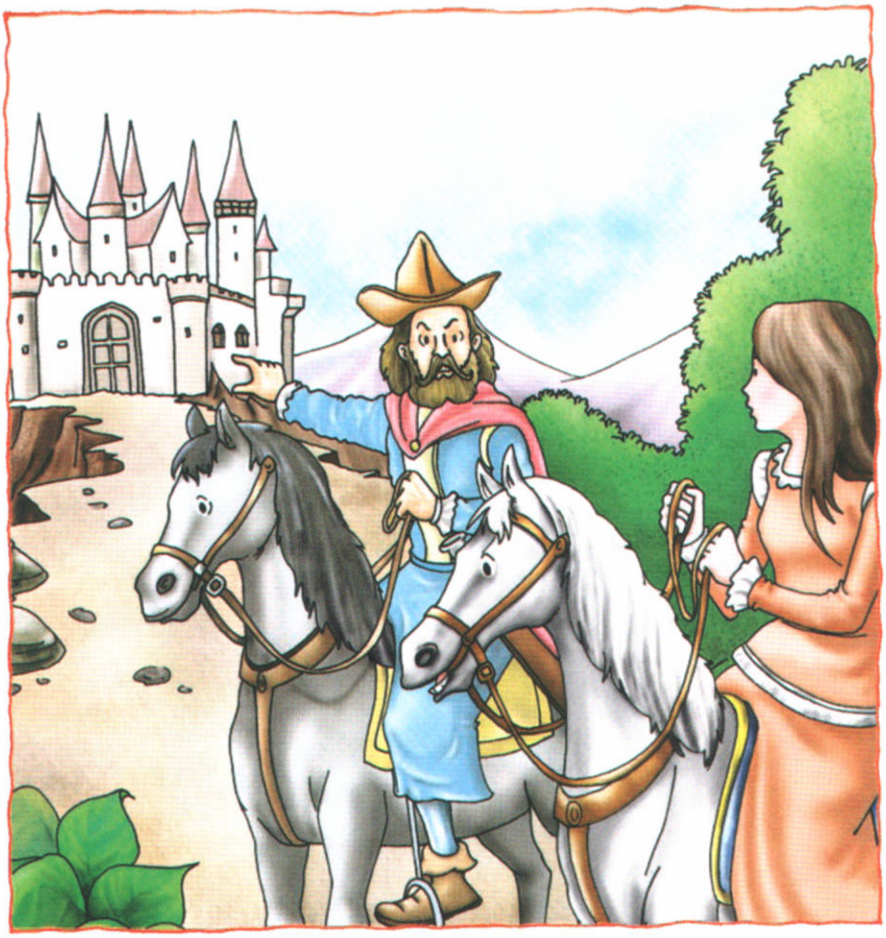
عَاشَ سَاحِرٌ شِرِّيْرٌ فِي قَلْعَةٍ ضَخْمَةٍ تَقَعُ فَوْقَ إِحْدَى قِمَمِ الجِبَالِ الشَّاهِقَةِ الَّتِي تَخْلُوْ مِنْ شَلَّالَاتِ المِيَاهِ، وَكَانَ قَلْبُ ذَلِكَ السَّاحِرِ خَالِياً مِنْ أَيِّ ذَرَّةِ خَيْرٍ، وَمُتْرَعاً بِالشَّرِّ وَالأَذَى.

إِلَّا أَنَّ فَارِساً شَابّاً كَانَ يَكْرَهُ ذَلِكَ الشَّرَّ الَّذِي أُتْرِعَ بِهِ قَلْبُ السَّاحِرِ قَرَّرَ البَحْثَ عَنِ الحَقِيْقَةِ، الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا إِزَالَةُ الشُّرُوْرِ المَوْجُوْدَةِ فِي قَلْبِ ذَلِكَ السَّاحِرِ، وَعَلِمَ السَّاحِرُ بِنِيَّةِ ذَلِكَ الفَارِسِ الطَّيِّبِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَى تِلْكَ الشُّرُوْرِ، وَقَدْ نَجَحَ السَّاحِرُ -لِسُوْءِ الحَظِّ- فِي ذَلِكَ، وَذَلِكَ بِالسِّحْرِ الَّذِي مَكَّنَهُ مِنْ تَحْوِيْلِ الفَارِسِ إِلَى سَيْفٍ، وَهَكَذَا أَصْبَحَ السَّاحِرُ يَحْمِلُ مَعَهُ ذَلِكَ السَّيْفَ فِي غِمْدِهِ إِلَى جَانِبِهِ، وَبِذَلِكَ فَقَدَ الفَارِسُ حُرِّيَّتَهُ، وَأَصْبَحَ أَسِيْراً لَدَيْهِ.

إِلَّا أَنَّ الحَظَّ لَمْ يُحَالِفْ ذَلِكَ السَّاحِرَ، فَقَدْ أَخَذَ السَّيْفُ يَتَمَرَّدُ عَلَيْهِ وَيَرْفُضُ تَنْفِيْذَ أَوَامِرِهِ؛ لِأَنَّ السَّاحِرَ الشِّرِّيْرَ كَانَ يُحَاوِلُ قَتْلَ الطَّيِّبِيْنَ مِنَ النَّاسِ بِهِ، فَكَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَشْهَرُ فِيْهَا السَّيْفَ لِقَتْلِ الأَبْرِيَاءِ يَأْبَى ذَلِكَ السَّيْفُ الانْصِيَاعَ لِأَوَامِرِهِ، بَلْ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ غِمْدِهِ لِلدِّفَاعِ عَنْ هَؤُلَاءِ الطَّيِّبِيْنَ.



فَسَمِعَ القَاصِي وَالدَّانِي بِقِصَّةِ السَّيْفِ المَسْحُوْرِ الَّذِي يُدَافِعُ عَنِ الحَقِّ، وَوَصَلَ الأَمْرُ إِلَى أَحَدِ المُلُوْكِ، فَأَبْدَى رَغْبَةً فِي اقْتِنَاءِ ذَلِكَ السَّيْفِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ حَاكِماً طَيِّباً أَرَادَ تَحْرِيْرَ بِلَادِهِ مِنَ الشُّرُوْرِ، وَنَشْرَ الحَقِّ وَالعَدْلِ، فَطَلَبَ مِنَ السَّاحِرِ أَنْ يُعْطِيَهُ السَّيْفَ لِيُجَرِّبَهُ؛ لِأَنَّهُ شَعَرَ أَنَّهُ يُمْكِنُ يُسَاعِدَهُ فِي تِلْكَ المُهِمَّةِ النَّبِيْلَةِ.



وَهكَذا ذَهَبَ المَلِكُ بِصُحْبَةِ ابْنَتِهِ الجَمِيْلَةِ (لَيْلى) إِلَى قَلْعَةِ السَّاحِرِ، فَدَخَلَ المَلِكُ إِلَى القَلْعَةِ، وَانْتَظَرَتْهُ ابْنَتُهُ خارِجاً.

كانَتْ (لَيْلى) تَتَمَتَّعُ بِشَعْرٍ طَوِيْلٍ رائِعٍ، يَتَدَلَّى كَالشَّلَّالِ فَوْقَ كَتِفَيْها، فَبَدا غَرِيْباً، وَمُناقِضاً لِحالَةِ الجَدْبِ وَالعَطَشِ الَّتِي شَمَلَتِ الجِبالَ حَيْثُ تَقَعُ قَلْعَةُ السَّاحِرِ الشِّرِّيْرِ.

وَلَمَّا دَخَلَ المَلِكُ إِلَى قَلْعَةِ السَّاحِرِ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيْرَهُ السَّيْفَ السِّحْرِيَّ، وَهُنا قَرَّرَ السَّاحِرُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ السَّيْفِ اللَّعِيْنِ الَّذِي كانَ يَعْصِي أَوامِرَهُ، لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهُ وَقَعَتْ عَيْناهُ عَلَى خُصْلاتِ شَعْرِ الفَتاةِ الَّتِي كانَتْ تَقِفُ فِي الخارِجِ.

عِنْدَها نَظَرَ السَّاحِرُ إِلَى المَلِكِ وَقالَ لَهُ: "سَأُعْطِيْكَ سَيْفِي شَرِيْطَةَ أَلَّا تَلْمَسَهُ ابْنَتُكَ، فَإِنْ لَمَسَتْهُ فَعِنْدَها يَتَوَجَّبُ عَلَيْها أَنْ تَمْنَحَنِي خُصْلاتِ شَعْرِها".

فَوافَقَ المَلِكُ عَلَى شَرْطِ السَّاحِرِ؛ لِأَنَّهُ كانَ واثِقاً مِنْ أَنَّ ابْنَتَهُ (لَيْلى) سَتُطِيْعُهُ، وَلَنْ تَلْمَسَ ذَلِكَ السَّيْفَ أَبَداً، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى قَصْرِهِ مُسْرِعاً وَالسَّعادَةُ تَغْمُرُ قَلْبَهُ؛ لِأَنَّهُ سَيُحَرِّرُ بِلادَهِ مِنَ الشُّرُوْرِ، وَأَخَذَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُطِيْعُهُ فِي كُلِّ ما يَأْمُرُ، إِذْ كانَ يَخْرُجُ مِنْ غِمْدِهِ مُدافِعاً عَنِ الحَقِّ وَالعَدالَةِ.

وَلَكِنْ فِي أَحَدِ الأَيَّامِ خَرَجَ المَلِكُ إِلَى الصَّيْدِ، وَتَرَكَ السَّيْفَ فِي قَصْرِهِ، وَحِيْنَما عادَتْ (لَيْلى) إِلَى القَصْرِ سَمِعَتْ صَوْتاً آتِياً مِنْ قِبَلِ السَّيْفِ يُنادِيْها بِقَوْلِهِ: "أَيَّتُها الفَتاةُ الجَمِيْلَةُ!..

أنا الفَارِسُ الَّذي سَجَنَهُ السَّاحِرُ في هَذَا السَّيْفِ، وَبِوُسْعِكِ تَحْرِيْرِي إذَا لَمَسْتِ هَذَا السَّيْفَ لَمْسَةً وَاحِدَةً".

وَهُنا وَقَعَتْ (لَيْلَى) في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهَا، فَقَدْ وَعَدَتْ وَالِدَهَا بِأَنْ تُطِيْعَ أَوَامِرَهُ في عَدَمِ لَمْسِ السَّيْفِ، إلَّا أَنَّ طِيْبَةَ قَلْبِهَا دَفَعَتْهَا لِمُسَاعَدَةِ الفَارِسِ المِسْكِيْنِ، فَقَرَّرَتْ أَنْ تُحَرِّرَهُ مِنَ السَّيْفِ الَّذي حُبِسَ فِيْهِ.

وَلَمَّا لَمَسَتْ (لَيْلَى) السَّيْفَ تَكَسَّرَ عَلَى الفَوْرِ، وَخَرَجَ مِنْهُ فَارِسٌ شَابٌّ وَسِيْمٌ، فَانْحَنَى أَرْضاً، وَأَخَذَ يُقَبِّلُ حَافَةَ ثَوْبِهَا، أَمَّا مَشَاعِرُهُ فَلَمْ تَكُنْ تُعَبِّرُ عَنِ الامْتِنَانِ وَالشُّكْرِ فَقَطْ، بَلْ كَانَتْ تَفِيْضُ بِالإِعْجَابِ بِجَمَالِ (لَيْلَى)، إلَّا أَنَّ الوَقْتَ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ بِالبَقَاءِ فَتْرَةً طَوِيْلَةً مَعَهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَلَيْهِ مُوَاصَلَةَ سَعْيِهِ لِلْبَحْثِ عَنِ الحَقِيْقَةِ وَالعَدَالَةِ الَّتِي سَتُحَرِّرُ النَّاسَ مِنْ شُرُوْرِ السَّاحِرِ.

وَبَعْدَ أَنْ غَادَرَ الفَارِسُ المَكَانَ، انْتَبَهَتْ (لَيْلَى) إلَى أَنَّ وَالِدَهَا لَمْ يَرْجِعْ مِنْ رِحْلَةِ الصَّيْدِ بَعْدُ، وَلَمَّا تَأَخَّرَ الوَقْتُ أَكْثَرَ، ثُمَّ حَلَّ اللَّيْلُ بِسَوَادِهِ، عَرَفَتْ بِأَنَّهُ قَدْ أُخْتُطِفَ، وَبِأَنَّهَا هِيَ السَّبَبُ وَرَاءَ اخْتِطَافِهِ؛ لِأَنَّهَا خَالَفَتِ الأَوَامِرَ وَلَمَسَتِ السَّيْفَ.



ثُمَّ قَصَدَتْ (لَيْلَى) قَلْعَةَ السَّاحِرِ الشِّرِّيْرِ، وَعَرَّضَتْ نَفْسَهَا لِلْمَخَاطِرِ أَثْنَاءَ المُرُوْرِ بِالطُّرُقَاتِ الطَّوِيْلَةِ المُلْتَوِيَةِ الَّتِي تُفْضِي إلَى تِلْكَ القَلْعَةِ.

وَعِنْدَمَا رَأَتِ السَّاحِرَ أَخَذَتْ تَتَوَسَّلُ إلَيْهِ قَائِلَةً: "أَرْجُوْكَ أَنْ تُطْلِقَ سَرَاحَ وَالِدِي".

فَأجَابَهَا السَّاحِرُ وَهُوَ يَجْذِبُهَا مِنْ شَعْرِهَا: "لَيْس قَبْلَ أَنْ أَحْصَلَ عَلَى شَعْرِكِ الْجَمِيْلِ".
وَفِي الْجَبَلِ ذَاتِهِ الَّذِي يَعِيْشُ فِيْهِ السَّاحِرُ الشِّرِّيْرُ، عَاشَ رَجُلٌ عَجُوْزٌ يُمَثِّلُ رُوْحَ الْجَبَلِ الْحَقِيْقِيَّةِ، وَكَانَ يَسْعَى إِلَى إِرْوَاءِ كُلِّ مَظَاهِرِ الْعَطَشِ فِي تِلْكَ الْمَنْطَقَةِ الْجَبَلِيَّةِ، لِذَا كَانَ يَطْلُبُ مِنْ جِنِّيَّةِ الْجَبَلِ أَنْ تُسَاعِدَهُ فِي تَحْوِيْلِ مِيَاهِ أَحَدِ الْجَدَاوِلِ إِلَى الْجَبَلِ، فَغَيَّرَتِ الْجِنِّيَّةُ هَيْئَتَهَا، وَتَحَوَّلَتْ إِلَى نَحْلَةٍ، ثُمَّ امْتَطَتْ إِحْدَى الْفَرَاشَاتِ فِي طَرِيْقِهَا لِتَحْوِيْلِ مِيَاهِ ذَلِكَ الْجَدْوَلِ، وَفَجْأَةً سَمِعَتِ الْجِنِّيَّةُ الْكَلِمَاتِ الْخَبِيْثَةَ الَّتِي تَفَوَّهَ بِهَا السَّاحِرُ مُخَاطِباً (لَيْلَى)، فَأَسْرَعَتْ فِي الطَّيَرَانِ لِتَصِلَ إِلَى تِلْكَ الْفَتَاةِ، وَلِتَهْمِسَ فِي أُذُنِهَا كَلِمَاتٍ تَشْجِيْعِيَّةً، حَيْثُ خَاطَبَتْهَا قَائِلَةً: "لَا تَسْتَسْلِمِي يَا عَزِيْزَتِي لِهَذَا الشِّرِّيْرِ، بَلْ تَحَلَّيْ بِالشَّجَاعَةِ، وَسَيَكُوْنُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ".
عِنْدَهَا اسْتَجْمَعَتْ (لَيْلَى) قُوَّتَهَا، وَنَهَضَتْ فَجْأَةً، بَيْنَمَا كَانَتْ خُصْلَاتُ شَعْرِهَا تَتَدَلَّى بَيْنَ أَصَابِعِ السَّاحِرِ، ثُمَّ صَرَخَتْ بِهِ قَائِلَةً: "أُغْرُبْ عَنْ وَجْهِي أَيُّهَا الشِّرِّيْرُ! فَلَنْ أَمْنَحَكَ خُصْلَاتِ شَعْرِي، وَسَأُحَرِّرُ أَبِي مِنْ قَبْضَتِكَ".
وَلَمَّا نَطَقَتْ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ اخْتَفَى السَّاحِرُ، فَأَعَادَتْ جِنِّيَّةُ الْجَبَلِ (لَيْلَى) إِلَى قَصْرِ أَبِيْهَا، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، وَبَيْنَمَا كَانَتْ (لَيْلَى) جَالِسَةً فِي الْحَدِيْقَةِ تُفَكِّرُ فِي طَرِيْقَةٍ لِتَحْرِيْرِ أَبِيْهَا، ظَهَرَتْ لَهَا جِنِّيَّةُ الْجَبَلِ وَهِيَ تَمْتَطِي حِصَاناً، وَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تَرْكَبَ مَعَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَتَا نَحْوَ قَلْعَةِ السَّاحِرِ لِتَحْرِيْرِ أَبِيْهَا الَّذِي طَالَمَا دَافَعَ عَنِ الْحَقِيْقَةِ.



وَعِنْدَ اقْتِرَابِهِمَا مِنَ الْقَلْعَةِ شَاهَدَتَا الْفَارِسَ الَّذِي كَانَ سَجِيْنَ السَّيْفِ يَمْتَطِي فَرَسَهُ مُتَّجِهاً إِلَى قَلْعَةِ السَّاحِرِ أَيْضاً، وَعِنْدَمَا لَمَحَهُمَا صَرَخَ قَائِلاً: "وَجَدْتُهَا! لَقَدْ وَجَدْتُ الْحَقِيْقَةَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُدَمِّرَ الْقُوَّةَ الشِّرِّيْرَةَ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا السَّاحِرُ ضِدَّنَا!".
وَهُنَا أَخَذَتْ (لَيْلَى) تَحْكِي لِلْأَمِيْرِ كَيْفَ حَاوَلَ السَّاحِرُ قَصَّ خُصْلَاتِ شَعْرِهَا لَوْلَا مُسَاعَدَةُ الْجِنِّيَّةِ لَهَا، فَشَعَرَ الْأَمِيْرُ بِالْأَسَى وَالْحُزْنِ لِمَا سَمِعَهُ مِنَ الْمَتَاعِبِ الَّتِي سَبَّبَهَا لِـ(لَيْلَى)، وَلِذَا طَلَبَ مِنَ الْجِنِّيَّةِ أَنْ تُسَاعِدَهُ فِي الْقَضَاءِ عَلَى شُرُوْرِ السَّاحِرِ، وَأَطْلَعَهَا عَلَى السِّرِّ الَّذِي اكْتَشَفَهُ، حَيْثُ يُمْكِنُهُ بِوَسَاطَتِهِ تَدْمِيْرُ السَّاحِرِ وَشُرُوْرِهِ، ثُمَّ قَرَّرَ ذَلِكَ الْفَارِسُ أَنْ يَبْقَى مَعَ الْفَتَاةِ خَارِجَ الْقَلْعَةِ لِتُؤَدِّيَ الْجِنِّيَّةُ مُهِمَّتَهَا.
وَلَقَدْ سُرَّتِ الْجِنِّيَّةُ أَيَّمَا سُرُوْرٍ عِنْدَمَا وُكِلَتْ إِلَيْهَا تِلْكَ الْمُهِمَّةُ الْجَرِيْئَةُ، وَنَفَخَتْ فِي الْبُوْقِ الْفِضِّيِّ الْمُعَلَّقِ جَانِبَ الْبَابِ عِنْدَ وُصُوْلِهَا إِلَى الْقَلْعَةِ.



فَهُرِعَ السَّاحِرُ نَحْوَ البَابِ، وَصَاحَ قَائِلاً: "مَنْ هُنَاكَ؟ وَهَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْدِمَكَ بِشَيْءٍ؟"

لَقَدْ كَانَ السَّاحِرُ يَعْرِفُ مَنْ هِيَ الجِنِّيَّةُ، وَمَدَى قُوَّتِهَا فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَخَذَ يَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهَا.

وَهُنَا خَاطَبَتْهُ الجِنِّيَّةُ قَائِلَةً: "لَقَدْ سَافَرْتُ مَسَافَاتٍ طَوِيْلَةً يَا سَيِّدِي، وَأَنَا بِحَاجَةٍ إِلَى مَكَانٍ آوِي إِلَيْهِ، وَإِلَى بَعْضِ المَاءِ لِأَشْرَبَهُ".

وَهُنَا كَانَ بَيْتُ القَصِيْدِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا مِنْ مِيَاهٍ لَدَى السَّاحِرِ لِيُقَدِّمَهَا إِلَى تِلْكَ الجِنِّيَّةِ، فَبَيْتُهُ كَانَ يُعَانِي مِنَ الجَفَافِ تَمَاماً كَقَلْبِهِ الَّذِي مَلَأَتْهُ الشُّرُوْرُ، لِذَا هُرِعَ نَحْوَ المَلِكِ الَّذِي كَانَ أَسِيْراً لَدَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ كَيْفَ حَاوَلَ اخْتِطَافَ ابْنَتِهِ، فَبَكَى الأَبُ بُكَاءً مُرّاً حُزْناً وَإِشْفَاقاً عَلَيْهَا، وَاسْتَمَرَّ فِي البُكَاءِ طَوِيْلاً.

وَهَذَا مَا أَرَادَهُ السَّاحِرُ بِالضَّبْطِ، فَقَدْ كَانَ يُرِيْدُ مِنَ المَلِكِ أَنْ يَبْكِيَ لِيَجْمَعَ دُمُوْعَهُ المُنْهَمِرَةَ، وَمِنْ ثَمَّ لِيُعْطِيَهَا إِلَى الجِنِّيَّةِ لِتَرْوِيَ ظَمَأَهَا.

بَيْدَ أَنَّ الفَارِسَ كَانَ قَدْ أَخْبَرَ الجِنِّيَّةَ بِتِلْكَ الخُطَّةِ الشِّرِّيْرَةِ، لِذَا قَرَأَتِ الجِنِّيَّةُ بَعْضَ الكَلِمَاتِ السِّحْرِيَّةِ عَلَى تِلْكَ الدُّمُوْعِ عِنْدَمَا غَادَرَهَا السَّاحِرُ، فَخَرَجَتْ مِنَ الكَأْسِ صَبِيَّةٌ جَمِيْلَةٌ تَتَمَتَّعُ بِالقُوَّةِ الَّتِي تُسَاعِدُهَا عَلَى تَحْوِيْلِ الشَّرِّ وَالبَاطِلِ إِلَى خَيْرٍ، وَأُمُوْرٍ طَيِّبَةٍ.

وَحِيْنَمَا عَادَ السَّاحِرُ إِلَى مَخْدَعِ الجِنِّيَّةِ فُوْجِئَ بِوُجُوْدِ فَتَاةِ الدُّمُوْعِ، فَأُعْجِبَ بِهَا، وَرَغِبَ فِي الزَّوَاجِ مِنْهَا وَإِبْقَائِهَا مَعَهُ فِي قَلْعَتِهِ، إِلَّا أَنَّ الجِنِّيَّةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَتُحَقِّقُ لَهُ أُمْنِيَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ إِذَا أَطْلَقَ سَرَاحَ المَلِكِ، فَوَافَقَ السَّاحِرُ دُوْنَ تَرَدُّدٍ.

وَلَكَمْ كَانَتْ سَعَادَةُ اللِّقَاءِ غَامِرَةً حِيْنَمَا اجْتَمَعَ المَلِكُ بِابْنَتِهِ (لَيْلَى)، وَشَعَرُوْا جَمِيْعاً بِالسُّرُوْرِ لِإِطْلَاقِ سَرَاحِ ذَلِكَ المَلِكِ.

ثُمَّ الْتَفَتَتْ (لَيْلَى) إِلَى الجِنِّيَّةِ وَقَالَتْ لَهَا: "لَقَدْ حَرَّرْتِ وَالِدِي مِنَ السَّاحِرِ الشِّرِّيْرِ، وَأَنَا أَرْغَبُ بِمُكَافَأَتِكِ، فَمَا الشَّيْءُ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ أَمْنَحَكِ إِيَّاهُ مُقَابِلَ مَعْرُوْفِكِ؟"

رَدَّتْ عَلَيْهَا الجِنِّيَّةُ: "يُمْكِنُكِ أَنْ تَمْنَحِيْنِي شَعْرَكِ إِنْ رَغِبْتِ".

وَعِنْدَهَا لَمْ تَتَوَانَ (لَيْلَى) أَوْ تَتَلَكَّأْ لِلَحْظَةٍ، بَلْ أَخَذَتْ تَقُصُّ شَعْرَهَا وَتُعْطِيْهِ لِتِلْكَ الجِنِّيَّةِ، أَيْ إِنَّ مَا لَمْ يَتَمَكَّنِ السَّاحِرُ الشِّرِّيْرُ مِنَ الحُصُوْلِ عَلَيْهِ بِالقُوَّةِ، تَمَكَّنَتْ تِلْكَ الجِنِّيَّةُ مِنَ الحُصُوْلِ عَلَيْهِ بِاللِّيْنِ وَاللُّطْفِ، كَمَا سَاعَدَتْ تِلْكَ الجِنِّيَّةُ فِي انْتِزَاعِ الشُّرُوْرِ مِنْ قَلْبِ السَّاحِرِ، وَجَعَلَتْهُ يَرْغَبُ فِي الزَّوَاجِ مِنْ فَتَاةِ الدُّمُوْعِ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَى قَلْبِهِ بِلُطْفِهَا وَدَمَاثَتِهَا.

وَلَكِنْ أَلَا يَبْدُو ذَلِكَ سِجْناً رَائِعاً؟ بَلَى؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّاحِرَ تَحَرَّرَ مِنْ قَيْدِ الشُّرُوْرِ، وَلَبِسَ قَيْدَ المَحَبَّةِ بِإِرَادَتِهِ.

